

Universitäts- und Landesbibliothek Bonn

Farḡ al-ḡhiḡāb fī-'l-waḡḡ

Farḡāt, ḡirmānūs

Bairūt, 1896

Abschnitt

urn:nbn:de:hbz:5:1-15793

الآتقاد عينه كان في بولس الرسول عند وعظه . وحرارة رسائله
 تشهد له حتى انتهى اغوستينوس الالهى ان يراه واعظاً .
 فيلزمك اذا يا ايها الواعظ أن تكون في وعظك حاداً حاراً
 ليعتقد الجميع انك تحب الفضيلة وتبغض الرذيلة . فاذا اتممت
 هذه الشروط بموجبها تكون اتممت واجبات وظيفتك وتكون
 قد اشبهت سيدك رب وظيفتك ومائلت بولس رسوله امام
 المنذرين والمبشرين الواعظين فتمسك اذا بما يقوله لك ولغيرك
 من الواعظين حيث ينصحكم قائلاً : ايها الاخوة مهما يكن من
 حق او عفاف او عدل او طهارة او صفة محبة او حسن
 صيت . ان تكن فضيلة او مديح فقي هذه فلتكن افكاركم وما
 تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه في فهذا اعملوا وإله
 السلام يكون معكم (فيلبي ٤ : ٨)



يناصب كلمة الله (اعمال ١٣: ١١) وهذه كانت غيرة بطرس
 هامة الرسل الذي حرم سيمون الساحر الذي كان يطلب موهبة
 الروح القدس بالفضة (اعمال ٨: ٢٠) فاذا غرت هكذا على
 قتل صنم الخطيئة الذي يعبدُهُ الناس تحرك قلوب السامعين
 الى الخوف والتوبة ثم أدهشهم بعالي صوتك المنبثق من عرش
 الغيرة الالهية كالرعد الجائل في أفق السحاب . قال القديس
 يوحنا الذهبي الفم في بحث تناول القربان المقدس فلنقم عن
 المائدة الطاهرة كالاسود الضائرة طارحين من أفواهنا ناراً تروع
 الأبالة . هكذا كن انت يا ايها الواعظ فقم من منبر الوعظ
 كالأسد الضائر طارحاً من فيك نار الغيرة الالهية لتخيف قلوب
 الخطاة المتصلة بالخطيئة

الحلّة الثانية التي تلزمك الحرارة اي كن حاراً في كلامك
 وصفاتك وحركاتك كأنك نارٌ تتقد حتى تفرع قلوب السامعين
 فتؤثر فيها حرارة الندامة على ما فرطوا في حق الله من الاثم
 والخطا . قال القديس غريغوريوس الكبير من لا يتقد في ذاته
 فلا يمكنه ان يحرق غيره لأنه لن يوجد شيء يحرك الخطاة الى
 الندامة مثل الواعظ المتقد المتحرك في ذاته بالحرارة . وهذا

انا (٢ كورنثس ١١: ٢٩) يريد من يجحد ناموس الله وينكره
 بالمخالفة له فان السامعين اذا رأوا منك هذه الغيرة الحارة
 يجلونك وتعظم في عيونهم فيصدقون ما تقوله ثم يعتبرون شر
 الخطيئة فيخافونه ويعتزمون انهم لا يعودون الى هذا النفاق. واياك
 ان تتظاهر لهم بغيرة مرة مملوءة حماقة مبنية على غير اساس
 التقوى. فان الرسول يوبخك على مثل هذه الغيرة الحمقاء
 (رومية ١٠: ٢) فاني اشهد لهم ان فيهم غيرة لله الا انها ليست
 عن معرفة. بل غر بتلك الغيرة التي كانت للرتم القاتل غيرة
 بيتك اكلتني وتعييرات معيريك وقعت علي (مزمو ٦٨: ١٠)
 ان هذه كانت غيرة موسى الذي قال لقضاة اسرائيل اقتلوا
 كل واحد من تعلق من قومه ببعل فغور (عدد ٢٥: ٥) وهذه
 ايضا كانت غيرة فينحاس بن العازر بن هارون الحبر الذي قتل
 الزاني والزانية معاً (عدد ٢٥: ٨) وهذه كانت غيرة ايليا النبي
 الذي قتل كهنة بعل الصنم (٣ ملوك ١٨: ٤٠) وهذه كانت
 غيرة يسوع المسيح الذي صنع مخصرة من حبل وأخرج بها الذين
 يبيعون ويبتاعون في الهيكل (يوحنا ٢: ١٥) وهذه كانت
 غيرة بولس الرسول الذي ضرب عليماً الساحر بالعمى لأنه كان

(٤: ٥١) . الرابع يلزمك بعد التوبخ ان تستعمل إسفنجة الرجاء وتضع على الجراحات التي تقيتها من غفها ضمادات الادوية المناسبة لبرئها ونظّل الأورام بجرارة أمواه التعزية واسقهم أشربة التقوية اللذيذة المبردة بكلمات الرجاء والتسلية كما قال الحكيم: انقذ المسوقين الى الموت (أعمال ١١: ٢٤) اي قو منة المشرفين على قطع الرجاء وهذا يكون ختام الوعظ حتى اذا انفصل السامعون عنك يكونون حاملين معهم الادوية التي وصفتها لهم يا ايها الطيب الروحي ليستعملوها في طب أنفسهم

العاشر يلزمك في وعظك يا ايها الواعظ الغيرة اي اظهر غيرة مضطربة جداً في تخلص السامعين وانك حزين متأسف عليهم من أجل خطاياهم كأنك ذلك الرسول القائل لقد وددت لو اكون انا نفسي مُبسلًا عن المسيح من أجل اخوتي ذوي قرابتي بحسب الجسد (رومية ٩: ٣) وقل ايضاً مع المرتنم اخذتني الحمية بسبب المنافقين من اجل الخطاة الذين تركوا شريعتك (مزموذ ١١٨: ٥٣) اي انك تظهر حزناً عظيماً في مخالفتهم ناموس الله . وبين لهم في هذه الغيرة مقدار تفاقم شر الرذيلة التي انت محترق حزناً وتأسفاً من أجلها كما قال الرسول من يُشكك ولا احترق

محتاجاً الى المداواة يداويه وهو في حال الصحة لئلا يستقبله المرض
كقول الحكيم استطب قبل المرض (ابن سيراخ ١٨: ٢٠)
فافعل انت هكذا لتنبه السامعين وتصونهم من الفوائل التي
تفاجئهم بغتة . قال القديس يوحنا السلمي اذا عرفنا هبوب
الرياح من اية جهة توافينا رفعنا بعد ذلك قلوبنا مقابلها يعني احذر
التي تأتي المضرة منها . الثالث ليكن التوبخ لطيفاً ومطلياً بذهب
الادب فما ارق توبخ ناتان النبي لداود الملك في ذلك المثل الذي
ضربه له . وما اسرع توبة داود (٢ ملوك ١٢: ١) من جرى
ذلك التوبخ المذهب المملوء حكمة الهيبة . فانك بهذا تجتذب
قلوب الخطاة الى التوبة لا بالعجرفة وقلة الادب وبالا لفاظ السمجة
وما أحسن أن تعد ذاتك من جملة الخطاة الموبخين . كن طيباً
لا جليلاً وكن جراحاً يشق القرحة المتورمة ويستخرج منها
المادة الفاسدة المنتنة لتشفى لا قصاً باً يضرب بساطوره بلا تمييز
فيكسر العظم ويقطع الأعصاب . قال الرسول لتلميذه حاجج
ووبخ وعظ بكل أناة وتعليم (٢ تيموتاوس ٤: ٢) قال بكل أناة
اي بالفطنة والادب ولم يقل اشتموهم واضربوهم بمقارع ألسنتكم
الفضة القاسية الصخرية التي شبهها المرثم بالموسى المسنونة (مزمو

كلها يجوز للواعظ استعمالها أي وقت شاء في وعظه . ما عدا
 التهكم والتهديد فاستعمالها يكون بعد اثباتك الفضيلة والرذيلة في
 عقول السامعين بقوة القواعد والدلائل

تنبيه يقتضى للتوبيخ أربعة أمور الاول ان يكون التوبيخ على
 حسب درجة الواعظ ووظيفته لان توبيخ الاسقف غير توبيخ القس
 وتوبيخ الرئيس غير توبيخ المروءس فلهذا يلزم كل واحد ان يوبخ في
 وعظه بحسب مقامه . الثاني انك توبخ على الشر الحاضر حالا
 لتتصله كما ونبخ السيد الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل
 وقلب مواعظهم (متى ٢١: ١٢) لكي يبطل هذه العادة السيئة هكذا
 انت ونبخ على العوائد الرديئة الموجودة حالا وعلى اسباب الخطايا
 الواقعين فيها وعلى المعاشرات وقلة الادب . ولا سيما جنس النساء
 اللواتي هن علة كل علة . واستعمل في توبيخك نوع الالتفات من
 الحاضر الى الغائب وبالعكس . ومن المذكر الى المونث وبالعكس .
 ومن المفرد الى الجمع وبالعكس . وهذا حسن جدا اذا كانت
 هذه الانتقالات برشاقة وظرافة . ولك ايضا ان توبخ على الشرور
 المستقبل وقوعها حذر وقوعها ولا سيما اذا كنت عارفا بمجواث
 البلاد وبمواسم عوائدها . فان الانسان الذي يعرف مزاجه

بذلك . ولو عرفت أن هناك أناساً حاضرين يسمعونك وهم بها
متلطفون

التاسع التوبيخ وله مراتب الاولى العتاب اي ان تعاتب
الخاطئ على خطيئته . الثانية المغايرة وهي ان تمدح للخاطئ
الخطيئة وتذم له الفضيلة من باب التعيير والتهكم . الثالثة تجاهل
العارف وهو انك تسأل الحاضرين عن شر الرذيلة وخير الفضيلة
كانك غير عارف بذلك وهذا النوع له دخل في مواقع كثيرة .
الرابعة المواربة وهي ان تلقي على السامعين الفاظاً تحتل المدح
والذم كقولك انك يا خاطي تستحق الرحمة بالعدل فهذا الكلام
يحتمل ان الله ينتقم منه ههنا . وهذا وجه الرحمة او ان يهمله ههنا
بغير انتقام وهذا هو وجه العدل . الخامسة الذم في معرض المدح
اي انك تمدح السامعين على افعال مذمومة كأنما يفعلونها كشيء
محمود . السادسة الهزل الذي يُراد به الجِدّ وهو انك تمزح مع
السامعين كأن خطاياهم ليست بخطايا وانها لا تغضب الله ولا
يهلكون من أجلها . السابعة التهكم وهو احتقار الخاطئين والازدراء
بهم . الثامنة التوعّد والتهديد بان الله يعاقب الخاطئ . وبين ههنا
كل ما يمكنك من الإرهاب والتهويل والمذمة فهذه الانواع

الناس . هذا شيء يلزم معلّمي الاعتراف لا الواعظ والمخلص من كلامنا كله ان تكون خجلاً متأدباً في وعظك على الزنى والزناة كما انك تستحي من ان تظهر امام الناس عرياناً

الثاني اذا كان احد السامعين مشتهراً برذيلة تتكلم فيها فلا تنظر اليه ولا تُشر نحوه لئلا يتوهم انك تتعمده وتنبه الناس اليه . وهذا شرٌ عظيم . واحذر ما يتغيظ منه بعض اناس قاصداً نكائهم وفضيحتهم وهذا يُسمى التعريض . فانك بهذا لا تكون واعظاً بل عدواً . فلا تأمن المضرة اذا لستهم بحُمة الملام . امسّس الجبال فتصير دُخاناً (زمور ١٤٣: ٥) وقد نهت العلماء عن ذلك ولا يخلو فاعله المتقصد من الإثم القطيع . وكن كيسوع معلّم وظيفتك . فانه لما اورد في بعض مواعظه خبر الغني المسكين . أبان عن اسم المسكين الصالح بقوله وكان اسمه لهازر . وأما ذاك الغني الطالح فسكت عن اسمه (لوقا ١٦: ٢٠) ولم يستجز أن يبيّنه احتشاماً وتأدباً لتعلم منه يا ايها الواعظ فلا تعرض لأحدٍ بخطيئته . ولو تحققت كما اعرض السيد عن بيان اسم الغني . مع انه كان عارفاً بهلاكه في جهنم . لكن اذا عرضت أحياناً برذيلة توبخ عليها لنفع السامعين فلا بأس عليك

على استحضارها في المخيلة . واما الالفاظ التي تعبر بها عن معنى موضوع الوعظ ومعنى الشهادات فضعها من عندك فهي بمقتضى هوالك كما مرّ بك القول في فصل التهيو

تنبيه قد ذكرنا سابقاً انك لا تشرد في وعظك عن الموضوع الذي انت فيه ولكن يجوز لك أن تشرد عنه أحياناً متعمداً لمناسبة ما ووقتاً ما . واخصه وقت التوبخ وهذا يُسمى الاستطراد . ويكون الشرود برقة ملائمة وهو نوع من الالتفات ثم ارجع الى ما كنت فيه

الثامن وفيه نوعان الاول اذا اوردت خبراً من اخبار الزنى فلاحظ فيه الاجاز والاحتشام بعبارات لا تؤذي السامعين وبالفاظ لا يستحي فيها ولا منها قائلها وسامعها . وهذا يُسمى النزاهة . وافعل هكذا اذا وبخت النساء لئلا يعترهن الحياء والشك وتؤذي الشبان وتنه البنات فتكون المضرة اكثر من المنفعة . ولا تداوم النظر نحو جهة النساء لئلا يشك فيك الحاضرون لانك مراقب من الجميع . ولا توبخ على الزنى الغير الطبيعي مصرحاً بل من باب التلميح . لأن ذكره فاحش جداً يؤذي الجميع رجالاً ونساءً واحذر الوعظ على ما يلزم سرّ الزواج لانه فضيحة امام

منتسقاً مرتباً حتى لا يملّ أحدٌ من سماعه ولو أطلت المقام والكلام على
وهذا يُسمى الانسجام

السابع اذا شرد عن عقلك قضية من قضايا وعظك فلك فيه
ثلاثة اوجه: الاول اذا رأيت في ذاتك انك اذا تعديتها لا يخل
المعنى الذي أنت فيه فاطرُ كها وخُذ في غيرها. الثاني اذا رأيتها
لازمة في تتمّة المعنى فاثبت في البحث الذي أنت فيه وأطل
الكلام جانلاً بفكرك حول تلك القضية المنسية متذكراً ما وراءها
من الشهادات والادلة حتى تهتدي اليها وتعرف في آية شهادة
هي. لان الشهادات مسامير الوعظ كما قلنا وتنفعنا في مثل هذا
العارض. الثالث اذا رأيت ان هذا لم يُفدك ولم تهتد به فاجعل
لكلامك مناسبة بينه وبين ما وراء تلك القضية المنسية وألحم
شيئاً بشي، وعدّ عما نسيته وهذا يُسمى اللحام وسبب هذا النسيان
هو عدم حفظك مسامير الوعظ عند التهيؤ ودرس ما ألقته
لتقوله فاذا اتقنت التهيؤ وحفظت الشهادات تنجو من عارض
النسيان فابذل الجهد في ان تحفظ غيباً ما كتبت كما ذكرنا سابقاً.
وضع في مخيالتك أما كن مسامير الوعظ التي هي الشهادات
والامثلة والبراهين. لأن الاستظهار اي الحفظ الغيبي متوقف

الْكَبِيرُ الْكُبْرَى فَأَضَاعُوا فِي عَشْقِهَا تِجَارَتَهُمْ . وَاِنِّي أَتَعَجَّبُ مِمَّنْ
 بَلَغَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ كَيْفَ يَعْرِفُ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ الْمُقَدَّسِ لِأَنَّهَا
 يَنْبُوعُ الْبَدْعِ وَالْإِنْشِقَاقَاتِ فَاجْنَحْ يَا صَاحِبَ مُنْتَبِهًا وَاسْلُكْ فِي وَعْظِكَ
 مَسْلَكَ السِّدَاجَةِ الرِّسُولِيَّةِ . وَلَا تَتَظَاهَرُ بِأَنَّكَ حَكِيمٌ طَالِبًا مَدْحَةَ
 النَّاسِ . لِأَنَّ رِضَاكَ عَنْ نَفْسِكَ هُوَ مَنْ فُسَادِ عَقْلِكَ . قَالَ الرَّسُولُ
 إِنْ حَسِبَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ حَكِيمٌ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَلْيَصِرْ جَاهِلًا
 لِيَكُونَ حَكِيمًا (١ كُورِنْثُسَ ١٨: ٣) أَيِ فَلْيَصِرْ جَاهِلًا حِكْمَةً
 هَذَا الْعَالَمِ لِيَكُونَ حَكِيمًا فِي اللَّهِ وَحْدَهُ . وَهَذَا الْمَعْنَى طَبَقَ مَا
 قَالَتْهُ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ إِنِّي نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَقِظٌ (نَشِيد ٥: ٢)
 قَالَ الْقَدِيسُ غْرِغُورِيُوسُ الْكَبِيرُ . إِذَا وَعَظْتَ فِي الْبَيْعَةِ فَلَا
 يُسْمَعُ صُرَاخُ الشَّعْبِ بَلْ أَصْوَاتُ الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ . فَمَدْمُوعُ
 السَّامِعِينَ تَكُونُ مَدِيحُكَ وَلَا يَقُولُوا إِذَا خَرَجُوا مَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءَ
 الَّتِي أَتَى بِهَا فِي الْوَعْظِ بَلْ فليُخْرِجُوا تَائِبِينَ عَنْ خَطَايَاهُمْ . لِأَنَّ هَذَا
 هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْوَعْظِ وَإِلَّا فَكُتِبَ الشُّعْرَاءُ وَشَقَاشِقُ أَرْتِجَالِهِمْ
 أَفْصَحُ مِنْ وَعْظِكَ . فَتَنْبَهْ إِذَا يَا أَيُّهَا الْوَاعِظُ لِتَعْلَمَ كَيْفَ يَنْبَغِي لَكَ
 التَّصَرُّفُ فِي بَيْتِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ بَيْعَةُ اللَّهِ الْحَيِّ عَمُودُ الْحَقِّ
 وَقَاعِدَتُهُ (١ تِيمُوتَاوُسَ ٣: ١٥) وَلِيَكُنْ وَعْظُكَ مَعَ السِّدَاجَةِ

الخطيئة . فاحذر اذا حية العُجب . فانها اذا لدغتك تُفسد عقلك
ورأيك فتصير تستعمل حوشي الالفاظ والتراكيب المعقدة
والمعاني العويصة الشاذة فيلزمك ح لذلك ترجان لان جنيتك
صارت تتكلم بالهندية لا بلغة البلاد . واذا وُجد أحد ممن
يعرف ما تقوله يلتهم عن فائدة المعاني بما تورده من دقائق
الصناعة ومن المعاني الدقيقة التي تنبى بأنك عالمٌ علامة لأن
هذا موضوع مُرادك فتذهب ح فائدة الوعظ هدرًا عند
القريتين العامة والخاصة . ولم يعرفوا الله لأنك أردت ان
تعرفهم الله بالحكمة الباطلة . ولهذا يقول الرسول إذ كان العالم
وهو في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة حسن لدى الله أن
يُخلص بجهالة الكرازة الذين يؤمنون (١ كورنتس ١ : ٢١) اي
بالسذاجة وانما فعل الله هكذا ليكيذك يا ايها الحكيم الجاهل
ويقهرك بالبشارة الساذجة بواسطة اناس ساذجين كقول الرسول
ايضًا اختار الله الجاهل من العالم ليخزي الحكماء (١ كورنتس
١ : ٢٧) اي الذين هم جهلاء مثلك . لقد رأيت قومًا لما سكروا
من خمرة رذيلة العُجب وادمنوا تعاطي كاساتها . والاولى أن اقول
نجاساتها بلغوا الى درجة عدم الحس بالكلية حتى تروجوا ابنة

الكتب الروحية . ثانياً على اعتماده على عقله . ثالثاً على ضعف حفظه . رابعاً على بِلادة فهمه . خامساً على عدم اعتباره السامعين . فيلزمك اذاً يا ايها الواعظ أن تناسب ما بين الألفاظ والمعاني فلا تحصر الفاظاً كثيرة في معاني قليلة ولا معاني كثيرة في الفاظ قليلة . بل فليكن اللفظ والمعنى متساوين وهذا يسمى اتئلاف اللفظ والمعنى . واذا كانت الشواهد والایرادات عويصة المعنى فعليك أن تبسط الكلام في بيانها للجميع ولو أدى ذلك الى تكرير المضمون مراتٍ ليجتلي السامعون حقيقة المعنى . وهذا يُسمى الترشيح والتبليغ

السادس استعمل في وعظك الالفاظ المفهومة عند السامعين كلهم واسلك مسلك العبارات المبسوطه المعنى السهلة الفهم على الرجال والنساء حتى الاولاد واتبع عوائد البلاد في وعظك من كل جهة . وكن كالرسول القائل وصرتُ كلاً للكل لأخلص الكل (١ كورنثس ٩: ٢٢) هذا كله يلزمك يا ايها الواعظ . لانك وانت قائم في منبر الوعظ بمنزلة حية النحاس التي رفعها موسى في البرية لينظر اليها كل ملدوغ فيشفى (عدد ٢١: ٨) . هكذا كن انت حتى تشفي كل من يسمعك من سم حية

(١ كورنثس ١: ٢٢) ولكن أنت فلا يكن مرادك آية ولا حكمة بل فائدة الشعب وخلاص نفوسهم كقول الرسول أما نحن فانا نبشّر بالمسيح مصلوباً . فان هذه البشارة هي مجموع كل تعليم الواعظين . ثم احتس من أن تورد في وعظك تعليماً او خبراً يقتضي توسيع الذمّة او قطع الرجاء او الطمع في رحمة الله . وهذا يُسمى الاحتراس . بل أقم السامعين دائماً ما بين الخوف والرجاء . واذا أوردت شيئاً من ذلك يلزمك تلافيه . وهذا يُسمى الاستدراك

الخامس تجنّب في وعظك العي والالفاظ الركيكة والقليلة الأدب والعبارات المضحكة التي لا محل لها . واحتس من التشابه المستهجنة والاستعارات الباردة الغليظة . وهذا يُسمى الركاكة . ولا تكن مهذاراً في وعظك اي كثير الالفاظ قليل المعنى كقول الرسول وانا لما أتيتكم ايها الإخوة لم آتكم ببراعة الكلام (١ كورنثس ٢: ١) لأنها فراقع ما تحتها طائل . وقد نرى وجبة الالفاظ بلا معنى بمنزلة شجرة بلا ثمر . لأنها تؤثر في قلوب السامعين ولا تحرّكهم نحو الفائدة . وهذا يدّ لنا على واحد من هذه الخمسة الاشياء . أولاً على عدم درس الواعظ

واحد . وهذا يُسمى التمكن وهكذا افعل في الأمثال والأخبار التي توردها . وخلافه خلل في المعنى . ويجوز لك أن تسلب من الشهادة معناها الأصلي وتضمنها معنى آخر من عندك على سبيل الاستعارة أو التشبيه . وهذا يُسمى الإيداع بالياء المشناة من تحت

الرابع اذا اوردت خبراً لإثبات كلامك فضمن فيه بعض كلمات تناسب وعظك على جهة الحاشية زيادة في المعنى . فان ضمنت الشهادة أو المثل والخبر في معنى كلامك سمي التضمين وإن ضمنت كلامك في معنى الشهادة والأخبار سمي الإدماج والأنسب في الأخبار المطولة ان ترد في أواخر الوعظ . واذا اوردت اخباراً في الحشو فالأنسب اختصارها برشاقة ملائمة لئلا تشغل الوعظ بالأخبار . ولهذا لا تُكثر من إيراد الأخبار . لأن الفائدة متوقفة على تقرير المعنى في عقول السامعين بقوة الشهادات والبراهين والأمثلة المقنعة إلا إذا كان الجهل متغلباً على أكثر السامعين فاعمل ما تراه أنسب للحال لان الجهلاء يميلون الى الأخبار . والعلماء يتقصدون الأقيسة والأدلة كقول الرسول . لأن اليهود يسألون الآيات واليونانيين يبتغون الحكمة

خِتام موعظتك بمباراتٍ تناسب ما ابتدأت به حتى يكون انتهاءك موافقاً ابتداءك وهذا يُسمى براعة الختام وان قدرتَ فاختم كلامك بالشهادة التي ابتدأت بها وهذا يُسمى ردَّ العجز على الصدر. وما احسن الكلام اذا أُجِدَّت الانتقال من قسمٍ الى قسم برقة براعة التخلُّص المقدم ذكرها. قالت الفصحاء انَّ جَوْدَةَ الواعظ تظهر من حُسْنِ براعة الاستهلال وبراعة التخلُّص وبراعة الختام

الثالث ان تبتدئ على الأصح في اول كل قسمٍ بشهادة تناسبه من الكتاب المقدس لا من غيره. واجعلها مادةً لذلك القسم. ثم أورد بعد ذلك لإثبات كلامك شهادات مناسبة من أي كتابٍ وقديسٍ وعالمٍ أوردته ورأيتُه يناسب موضوعك. وإياك أن تورد شهادات لا تناسب موضوع الكلام. فانه عيبٌ عظيمٌ واحترس من التناقض في كلامك وشهادتك لئلا يفسد عليك المعنى فتورط في ورطة لا مناص لك منها. واذا أوردت شهادةً فاجعل لها في كلامك مناسبة تستدعيها. وهذا يُسمى التوطئة والتمهيد حتى اذا اوردتها تنسكب مسبوكةً في قرارها كوقع الحافر على الحافر. فكانها مع الكلام معنى واحدٌ لقائل

طبيعة المسيح البشرية افتتح كلامه قائلًا كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم (متى ١: ١) ويوحنا لما أراد بيان مولده من جهة الطبيعة الالهية افتتح كلامه قائلًا : في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (يوحنا ١: ١) ومرقس لما أراد التخيير عن يوحنا الصانع افتتح كلامه قائلًا : هذا مرسل ملاكي امام وجهك يهيئ طريقك قدامك (مرقس ٢: ١) وهذه شهادة دالة على يوحنا قد اخذها البشير من ملاخيا النبي (ملاخي ٣: ١) ولوقا لما أراد التخيير عن كهنة اليهود قائلًا : كان في ايام هيروودس ملك اليهود كاهن اسمه زكريا (لوقا ١: ٥) وبواس الرسول ايضا لما اراد ان يبرهن لليهود عن المسيح انه جاء حقًا افتتح كلامه في رسالته الى العبرانيين قائلًا : ان الله الذي كلم الاباء قديمًا بالانبياء كلامًا متفرق الاجزاء مختلف الانواع كلّمنا اخيرًا في هذه الايام في الابن (عبرانيين ١: ١ - ٢) وردّد الموضوع الذي اتخذه من المقدمة في أقسام وعظك كلّ ولا تفارقه وأورد لاثباته الشهادات والأدلة والأخبار حتى تكون موعظتك منسوجة على منوال واحد من ابتدائها الى انتهائها وهذا يُسمّى الالتزام . ثم جدّد

أحياناً ذلك السرّ أو ذلك القدّيس وهذا يُسمى في صناعة
القصاحة الالتفات . وبين في آخر المقدمة معاني الأقسام التي
تريدها من نتيجة المقدمة وليكن تخلّصك من المقدمة ودخولك
في معاني الأقسام منسكباً انسكاباً رقيقاً ملائماً . وهذا يُسمى
براعة التخلّص . ثمّ اختتمّ مقدّمك بسلام الملاك جبرائيل مستشفعاً
والدة الاله مع ذلك القدّيس يوسف وسيرد عليك في هذا المعنى
كلام مستطيل في القسم الرابع

الثاني قد ذكرنا سابقاً ان الاولين كانوا يبنون مواعظهم على
مواضيع مختلفة . وهذا يُسمى الاتّساع لكن هذا المذهب قد
ترك الآن عند المتأخرين . وقد رأوا الأصوب ان يبنوا مواعظهم
على موضوع واحد ليتحقق معناه ملياً في عقول السامعين . وهذا
يُسمى التخصيص أو التنصيص فاذا شرعت في تأليف موعظة
لمدح سرٍّ من أسرار المسيح أو لقدّيس ما أو لتقرير فضيلة أو
رذيلة فاجعل افتتاح مقالتك آية من الكتاب المقدّس دالّة على
مضمون ما تقوله حتى اذا سمعها الحاضرون يستدلّون منها على
مضمون كلامك . وهذا يُسمى براعة الاستهلال وقد نرى
المبشرين الاربعة صنعوا هكذا . فانّ متى لما أراد بيان مولد

تنبيه من اتقن الصلاة العقلية يمكنه ان يتقن الوعظ .
 لأن القصد فيهما واحد وهو استئصال الرذيلة واقتناء الفضيلة .
 قد خبرنا القديس برناردوس عن نفسه قائلاً انه تعلم الوعظ من
 الصلاة العقلية

الفصل العاشر

في تنبيهات تلزم الواعظ

هذا الفصل يتضمن عشر تنبيهات يلزم الواعظ الجري
 بمقتضاها

الاول انه يلزمك يا ايها الواعظ ان تبني مقالاتك على مقدمة
 وأقسام وتجعل لكل من المقدمة والأقسام شهادة مناسبة
 للموضوع . فان كانت مواعظك مبنية على مدح فضيلة او ذم
 رذيلة فاجعل المقدمة بمنزلة تعريف لذلك الموضوع . وان كانت
 مواعظك مبنية على سر من أسرار سيرة يسوع المسيح . أو على
 سيرة احد من القديسين فاجعل المقدمة مدحاً لذلك السر أو
 لذلك القديس . واستنتج من المقدمة فضيلة ما مناسبة لذلك
 السر أو لذلك القديس . وابن عليها أقسام مقالاتك ولاحظ فيها

الا بواسطة الصلاة لأنها بمنزلة سلسلة ذهبية تهبط لنا بها
الخيرات من السماء فلهذا يلزمنا قبل كل شيء ان نلتجىء الى
الله بالصلاة في كل اعمالنا واحتياجاتنا. فان هذه الوسطة لازمة
لك يا ايها الواعظ القائم في وظيفة يسوع الذي كان يمارس
الصلاة ليلاً ويعظ الناس نهائراً (لوقا ٦: ١٢) كقول البشير
مخبراً عنه انه كان ساهراً في الصلاة لله ولما استعد للآلام ليعظنا
من فوق منبر الصليب وعظاً عملياً تقدم فصلي في البستان صلاة
متواترة حارة جداً نحواً من ثلاث ساعات حتى صار عرقه
كقطرات دم نازلة على الأرض (لوقا ٢٢: ٤٤) فتقدم انت
ايضاً الى هذا الوعظ اللفظي وبيدك مجمرة الصلاة لتكتسب
منها اولاً فضيلة التواضع ثانياً فضيلة استقامة النية ثالثاً فضيلة
الفطنة رابعاً فضيلة محبة القريب لأنك بالصلاة تسبب ثمره فائدة
وعظك في نفوس السامعين . وقل مع يوشافاط ملك يهوذا اننا
لا نعلم ماذا نفعل غير أن لنا خصلة واحدة وهي ان نرفع صرنا
اليك (ثاني الايام ٢٠: ٢٦) فارفع طرفك الى الله مبتهلاً حتى
تشعر بتلك البركة التي طلبها يعقوب من الله قائلاً لا أطلقك أو
تبارك كني (تكوين ٣٢: ٢٦)

لا يرضيه شيء مثل موافقة ارادته ومن يصنع ذلك يكن عنده
 في اعلى درجات الكرامة كما قال كل من يعمل مشيئة ابي
 الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي (متى ١٢: ٥٠) فاذا
 وافقت إرادة الله يكون الله فد لمسك . قال افلاطون الفيلسوف
 إن الذين يلمسهم الله يكتسبون منه قوة على ان يجذبوا غيرهم
 الى الله . ان الحديد بارد طبعاً فاذا قارب النار اكتسب منها
 قوتها الحارة المحرقة والزجاج الصافي النقي اذا وضع بازاء قرص
 الشمس ابرز ناراً محرقةً فلتكن هذه غاية توجه نيتك الى الله في
 وعظك فتهدى وتهتدي

القسم الثاني في الصلاة اي صلّ سرّاً قبل وقوفك في
 منبر الوعظ وقدّمها للروح القدس ليرشدك ذلك الروح الكلي
 قدّسه الى تمام نية الله وفائدة السامعين لان كل عطية صالحة
 وكل موهبة كاملة إنما تهبط من فوق من لدن أبي الأنوار
 (يعقوب ١: ١٧) وذلك بواسطة الصلاة . ولما كان الوعظ من
 اعظم عطايا الله ومواهبه ولاسيما لانه وظيفة الله نفسه كانت
 الصلاة لازمة في اكتسابه . قال القديس توما اللاهوتي ان
 الذي قضى الله به أن يعطيناه من الازل قضى انه لا يعطيناه

(٩:٣) فلا تختص لذاتك تخلص النفوس يا ايها الواعظ بل لله وحده الذي انت في يده آلة فقط . وكما ان الآلة لا تختص بذاتها شيئاً من الصناعة بل انها تنسب الكل الى الصانع الذي يحرك الآلة متى يُريد وفيما يُريد . هكذا أنت فانك آلة والله الصانع كقول الرسول أنا غرسْتُ وأبْلُوسُ سقى لكن الله هو الذي أنمى فليس الغارس بشيء ولا الساقى بل المنمي وهو الله (١ كورنثس ٦:٣) فمتى باشرت الوعظ فقف متأملاً طالباً إرادة الله الذي لا يزال يقول لك في كل اعمالك اجعلني كخاتم على قلبك (نشيد ٦:٨) واحسب أنك احوج من غيرك الى ما تقوله للناس وكن كمن يرمي بالسهم . فانه اذا وضع السهم في كبد القوس يتأني قليلاً ويحصر نظره كله في عين واحدة ليهتدي الى إصابة المرمى فاذا طابقت ارادته وانغمضت عينك وحصرت ارادة الله في العين الأخرى تكون قد اصبت المرمى الذي هو ارادة الله وانت هذت ارادتك التي هي افادة السامعين من وعظك فانك بهذا تجرح قلوب السامعين بسهم إرادة الله في وعظك . ولهذا تقول الحكمة الالهية ايتها العروس خلبي قلبي بإحدى عينيك (نشيد ٩:٤) لان الله

السابعة انتقادك وعظك أمام الناس وقصدك انهم يمدحونه
 الثامنة مذمتك وعظك امام الغير وانت تقصد المدحة
 التاسعة طلبك من الناس ان يروك نقص وعظك وقصدك
 ان يقولوا لا نقص فيه لكن اذا طلبت هذا من أرباب الفن
 في خلوة فلا بأس

العاشرة انك اذا اخذت تعتذر لنقص وعظك تحتج عنه
 بغير حق او تغتاز ممن ينبهك على نقصك . فاحذر هذه كلها
 يا ايها الواعظ وكن متيقظا والا تجد نفسك مقفرا من كل
 خير عند موتك . فتكون بمنزلة تاجر كابد المشقات حتى استغنى
 واخيرا غرق في المينا قال القديس يوحنا الذهبي الفم ان
 العجب هو الصخرة التي لا يوجد في العالم أهول منها . فاحذر
 يا ايها الواعظ ان تعثر بها لأنها موضوعة لسقوط وقيام كثيرين
 من الواعظين

الثالث ان يكون قصدك في وعظك انفاذ إرادة الله ينتج
 من ذلك انك آلة في يد الله يستخدمك في رد النفوس الى الحق
 بواسطة وعظك الذي ينطق به ويحركك اليه وبه . هكذا
 يقول الرسول نحن أنصار الله وانتم حرث الله وبنائوه (١) كورنثس

معه غير منتبهين ولا متحذرين يداخلنا رويداً فيسرق أتعابنا
ونحن لا ندري . قال القديس يوحنا السلمي ان العجب مبدد
اتعابنا وهلاك أعرافنا واغتيال ذخيرتنا وغرق في المينا . ونملة في
البيدر . لأنه لطيف دميم يسرق بيدر اعمالنا الصالحة ونحن لا
ندري . إياك ان تستهين بهذا الشيطان معتذراً عنه او متكللاً
على ذاتك . فانه كاللص يطرقك في ليل عدم فطنتك ومحبة
ذاتك في يوم لا تعلمه ساعة لا تعرفها فيمزيق اعمالك الصالحة
ويجعل حظها مع اعمال المرائين (لوقا ١٢ : ٤٦) . لأنك ان تقلدت
وظيفة الوعظ وتهاونت باستقامة النية يندس فيك هذا الشيطان
منساباً رويداً حتى يمتلكك وأنت لا تدري . ويبين ظهوره
فيك يا ايها الواعظ بهذه العلامات

الاولى تلذذك بوعظك وحرركاتك ورشاقة صناعتك

الثانية مبالغتك في التوبخ ولا سيما للنساء

الثالثة فرحك الغير المرتب في ذاتك بعد انتهائك من وعظك

الرابعة مطارحتك بين الناس ما قلته من النوادر في وعظك

الخامسة اصفاؤك الى مادحيك

السادسة سوءالك الناس عن وعظك

ولهذا لم يمدح الله الانسان لما كونه كما صنع في باقي المكنونات لان مدحه متوقف على سلامة نيته فان كان الاصل مقدساً فكذلك الفروع . إن النية هي الأصل والفروع هي الافعال (رومية ١١: ١٦) وبجسن النيات تنجح المطالب . فاستقامة وعظك اذا متوقفة على نقاوة نيتك اذا كان ما تفعله لمجد الله الاكبر . ان الفم يتكلم من فضلة القلب (لوقا ٦: ٤٥) وجودة الماء من جودة الارض النابع منها . فاسمع يا ايها الواعظ ما يقوله الرسول إذا أكلتم أو شربتم أو عملتم شيئاً آخر فاعملوا كل شيء لمجد الله (١ كورنثس ١٠: ٣١) ها هوذا الله ورسوله يلزمانك بأن توجه نيتك في الوعظ نحو مجد الله لتأتي في وعظك بأثمار كثيرة والا فانت تشبه من يلقي الزرع في الارض ذات السباح فتخسر البذر والغلة معاً اي الوعظ وفائدته

تنبيه ان شئت ان تحصل على نية مستقيمة تقدس بها وعظك فاحذر شيطان العجب . لأن هذا الشيطان يحارب الواعظ أكثر من بقية الشياطين لكون الوعظ تعليماً عاماً ظاهراً يدل على ان هناك علماً وعملاً لكون السامعين يخالون أن فينا هذه الفضائل التي نعلم بها غيرنا . وهذا طريق ممهد للعجب فان كنا

فكن اذا كلُّك عيوناً في هذا الحضور الالهي مثل تلك الحيوانات
الأربعة المملوءة عيوناً من قدام ومن خلف وهي وقوف حول
كرسي الله (رؤيا ٤: ٦) وهذا يدُّنا على تفاهم استحضار الله
امامنا لكيلا نعمل شيئاً غير مناسب لتلك الجلالة الالهية
الثاني أن الذي نصنعه يكون لمجد الله الاكبر لا لمجد ذواتنا
وهذا هو عين استقامة النية . وقد نبّه الله عليه بقوله سراج
الجسد العين فان كانت عينك بسيطةً فجسدك كله يكون نيراً
وان كانت عينك شريرةً فجسدك كله يكون مظلماً (متى ٦: ٢٢)
قال القديسون في تفسير هذه الآية ان العين هي النية والجسد
هو الاعمال . فافعالك اذا يا أيها الواعظ تتبع نيتك ضرورةً كما
يتبع الجسد خياله . فمن المحال ان يكون وعظك صالحاً مثمرّاً
وانت تقصّد بذلك مجد ذاتك . هكذا يقول الله لا يمكن لشجرة
ردية ان تثمر ثمرةً صالحة (متى ٧: ١٨) فلاحظ اذا غاية
وعظك بعين النية المستقيمة لمجد الله الأكبر لأن بنت الملك
جميع مجدها في الداخل (مزمور ٤٤: ١٤) قال القديس
امبروسوس ان حسن الانسان وجماله ليس في الظاهر بل
هو محجوب في الباطن متوقفاً على النية التي هي اساس الاعمال

يلزمك يا ايها الواعظ ان توجه نيتك الى الله من قبل أن تبتدىء
بالوعظ وان تصلي سرّاً أباناً والسلام من قبل أن تصعد الى
المنبر وتقدمها للروح القدس لينير ظلماتك وظلمات السامعين
معاً. ولهذا كان هذا الفصل قسامين . القسم الاول في توجه النية
وله ثلاثة شروط

الاول الحضور الالهي اي انا اذا ابتدأنا في عمل ما
نستحضر الله أمامنا كأننا امامه نعمل ذلك العمل . قال سينكا
الفيلسوف الطبيعي إن الذي يريد أن يعمل أعماله حسنة يتصور
أنه انما يصنعها أمام رجل مهيب محترم . هذا نفسه يلزمك أن
تعمله يا ايها الواعظ عند وعظك . لتكون أعمالك مستقيمة حسنة
وهو ان تتصور أنك ماثل امام الله في وعظك وأنه ناظر اليك
لأن عيني الرب اضوأ من الشمس فتبصران جميع طرق البشر
وتطلّمان على الخفايا (ابن سيراخ ٢٣: ٢٨) ومثله يقول كتاب
أيوب ان عيني على طرق الانسان وهو يبصر جميع خطواته
(ايوب ٣٤: ٢١) فاذا اعتبرت هذا تلتزم بانك تعظ وعظاً
مستقيماً يناسب الله الناظر اليك نظراً ملياً . لكون طرق
الانسان تجاه عيني الرب وهو يبصر جميع مناهجه (أمثال ٥: ٢١)

في استقامة نية الواعظ في وعظه

لما أراد نوح أن يعرف هل نشفت أمواه الطوفان ام لا
أرسل الغراب ليكشف له ذلك فذهب الغراب واشتغل ببطنه
ولم يلتفت الى نية مرسله فلم يعد اليه حتى نشفت المياه عن
وجه الارض . ثم أطلق بعده الحمامة فعاودت أولاً وثانياً وبفمها
غصن زيتون اخضر (تكوين ٨ : ٦) فالواعظ الذي يتبدى
بوعظه من غير ان يوجه نيته الى الله الذي أقامه واعظاً . يشبه
غراب نوح الذي ذهب ولم يرجع . هكذا هذا الواعظ فانه
يذهب في وعظه غير ملتفت الى الله . ذاك شغلته محبة بطنه .
وهذا شغلته محبة ذاته . ذاك شبع من جيف القتل . وهذا شبع
بالوهم من محبة العالم الميت . وأما الواعظ الذي يوجه نيته
الى الله قبل ابتدائه بوعظه فيشبه تلك الحمامة المباركة التي
عاودت الى نوح بعد ذهابها . تلك عاودت مرة بعد مرة .
وهذا يوجه نيته أولاً ويتبعها بالصلاة . ثانياً تلك عاودت وفي
فمها غصن زيتون اخضر . وهذا قد عاد من وعظه وفي فمه
نفس خضراء بالتوبة قد خلصها من غرق طوفان الخطيئة . فلهذا

فعلك يا ايها الواعظ اذا علمت كل ما ينبغي لوظيفتك وشفيت
النفوس المقعدة المخلعة بخطاياها

خامساً لكي يتم رجائك في اتكالك على الله بفائدة وعظك
وتأثيره في نفوس السامعين قال الله لبني اسرائيل كل موضع
تطأه اخامص اقدامكم يكون لكم (تشية الاشتراع ٢٤: ١١)
قال الانبا بزدوس في تفسيره هذه الآية ان الاقدام هنا كناية
عن الرجاء أي ان رجاءكم يكون بمقدار خطواتكم فاذا اتكلت
على الله كثيراً رجوت منه أموراً كثيرة لانه لا يخيب المتكئين
عليه (مزور ٣٣: ٢٣)

سادساً ليكون الله غيوراً على اتمام مجده فيك اذا راك
متكلاً عليه فينتصرح لمجده فيك ويحقق كل أملك فقل له
اذا مع المرنم لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك أعط المجد
(مزور ١١٣: ٩) فانه تعالى يفرح بهذا الاتكال فيدنو منك
كما انه يحزن لعدم هذا الاتكال فيبعد عنك ويرد وجهه عن
وعظك ولا يسمع صوت تعاليمك ولا يني غروسه فيكون بغير
ثمرة فكن بكل قلبك متكلاً على الرب ولا تعتمد على فطنتك
(امثال ٣: ٥)

العروس قرحي هذا قد تمّ . وله ينبغي ان ينمو ولي أن أنقص .
لأن الذي جاء من العلي هو اعلی من الكل والذي من الارض
هو أرضي وبالارضيات ينطق والذي أتى من السماء فهو فوق
الكل (يوحنا ٢٣ : ٢٩ - ٣٠) تعلم الاتضاع هنا من يوحنا اعظم
الانبياء واعلم بأنك ترابٌ ورَماد فليس لك شيء تنسبه
لصناعتك الا الضعف فقط واتكل على يسوع الذي جاء من
السماء واقامك وافرح به لأنه بك يصنع المعجزات
رابعا لكيلا تفخر في ذاتك أنك واعظ مفلق اذا كنت
متحققا ان الله الفاعل فيك لا انت وانما أنت آلة ملتزمة ان تتمم
في يد الفاعل ما يراه في عقله من صناعته . لهذا تقدم الله
فقال اذا فعلتم جميع ما أمرتم به فقولوا انا عبيد بطالون انما فعلنا
ما كان يجب علينا فعله (لوقا ١٧ : ١٠) اعني ليكن اعتمادكم في
وعظكم على الله الامركم لا على وسائلكم وصناعتكم الواجب
عليها ان تتم نية الله . ان بطرس ويوحنا لما شفيا ذلك المقعد
عند باب الهيكل . تعجب الشعب من صنعتهما فقال لهم الرسولان
لماذا تفرسون فينا كأننا بقوتنا وتقوانا جعلنا هذا يمشي . انما
ذلك بقوة إله ابراهيم واسحق ويعقوب (اعمال ٣ : ١٢) فليكن هذا

يا ايها الإبناء الضعيف . ان بطرس سهر الليل **كاه** في صيد
الحيتان ولم يصيد شيئاً لأنه كان متكلاً على صناعته . ولما قال
له يسوع ألق شبكتك فاتكل عليه بقوله له لكن بكلمتك
ألقي الشبكة ثم ألقاها وصاد سمكاً كثيراً فمن ثم عرف بطرس
ضعفه فصرخ نحو يسوع قائلاً اخرج عني يارب فاني رجل
خاطيء (لوقا ٥ : ٤) . لماذا . لكونه أكل أولاً على ذاته
وصناعته . هكذا انت فانك اذا القيت شبكة وعظك متكلاً
على صناعتك مثل بطرس فلا تصطاد ولا نفساً واحدة . وان
القيتها متكلاً على الله تصطاد نفوساً كثيرة

ثالثاً لكي تعرف أنك تلميذ في خلاص النفوس لا معلم
فاذا كان المعلم حاضراً يلزم التلميذ ان يكون خادماً في صناعته
والمعلم يتصرف به كيف شاء ويلزم التلميذ ان يزيد فرحاً اذا
راى معلمه ممدوحاً من إتقان صناعته . فهذه حالك مع يسوع
فكن له خادماً في وعظك لا فاعلاً . وافرح بيسوع اذا رأيت
النفوس متخلصةً بعظك ولا تفرح بصناعتك وتنسب الخلاص
اليك . فان هذا نفاق جسيم . وكن كما قال يوحنا الصباغ
أما صديق العرؤوس الواقف يسمعه فهو يفرح فرحاً لصوت

يفعله الله يثمر . وما تفعله انت متكلاً على قوة وعظك يُفسد فتكون بمنزلة من يفرغ ماءً في حوضٍ مثقوبٍ . هكذا قال رب الجنود وجهوا قلوبكم الى طرقكم لقد زرعتم كثيراً واستغلتم قليلاً . أكلتم ولم تشبعوا . شربتم ولم ترتووا . اكتسبتم ولم تستدقوا والذي يأخذ أجراً يأخذها في صرةٍ منقوبةٍ (حجائي ١: ٥) انتبه الى ما يقوله السيد له المجد ان العنصر لا يستطيع ان يأتي بثمرٍ من عنده ان لم يثبت في الكرمة . وأنا الكرمة وانتم الاغصان من يثبت فيّ وأنا فيه فهو يأتي بثمرٍ كثير لانكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً (يوحنا ١٥: ٤-٥) هل من تقرير اوضح من هذا يلزمك يا ايها الواعظ ان تتكل على الله في وعظك . ولا سيما حين يتهمدك الله قائلاً : ان كان أحدٌ لا يثبت فيّ يُطرح خارجاً . يعني ان لم تثبت في الاتكال على الله رذلت انت وتعليمك فالثمار الذي أُنعت من وعظك التي هي تخلص الأنفس ليست لك لانك لست الا غصناً اي آله . بل هي للأصل الذي هو الله الفاعل وحده

ثانياً لتظهر قوة الله التي يظهرها فيك اذا اتكلت عليه

أوّلاً لتعرف أن قوة الله هي الفاعلة كما تقدّم بيانه في
 النصّ الرسولي : لثلاث تدنّس بشارة الانجيل المقدّس بدنس
 رأيٍ بشريّ ففسد حـ ثمره الوعظ وتُرذل اذا جنتها يد الحكمة
 البشريّة التي قال الله فيها فحكمة حكمائه تضمحلّ وعقل عقلائه
 يفنى (اشعيا ٢٩: ١٤) لكونه تعالى جعل حكمة الحكماء جهالةً
 وسفاهةً لأنهم اتكلوا عليها لا على الله . ولهذا يقول الرسول :
 ان هذه الأشياء التي ننطق بها لا بكلماتٍ تعلّمها الحكمة
 البشريّة بل بما يعلمه الروح (١ كورنثس ٢: ١٣) فكانه يقول
 إن ما نكامكم به من جهة التعليم ليس هو لنا بل هو لله فقط .
 وانما نحن خزنة أسرارهِ يقول البشير مخبراً عن يسوع وهو على
 ما كان يُظنّ ابن يوسف (٢٣: ٣) وليس الامر كذلك بل هو
 ابن الله حقّاً المساوي لأبيه في الطبيعة والذات والجوهر .
 هكذا ثمره الوعظ في الحاطّين التائبين فلا تظنّ أنها من قوة
 وعظ الواعظ . إن هذا إلا تقاق وغلط محض . بل هي من
 قوّة الله القادر على كل شيء ، الفاعل في وعظ ذلك الواعظ
 المتكل هو عليه . فان قصدت هذه الثمرة في وعظك فكن
 متكلّاً على الله فتكون حـ قد جعلت الله الفاعل لا نفسك وما

لزومه للأطباء الروحانيين فالواجب عليك في وعظك يا أيها الواعظ
 أن تُقيم ذاتك ووسائلك آلة في يد الله يعالج بها النفوس المرضى
 بالخطيئة . وخلاف ذلك ضلالةٌ كبرى . قال الرسول الالهي :
 فهذه الثقة لنا بالمسيح لدى الله لا أن فينا كفاءة لأن ثقة ~~ب~~كر
 فكراً بأنفسنا كأنه من أنفسنا بل كفاءةنا من الله الذي جعل فينا
 كفاءةً لخدمة العهد الجديد (٢ كورنثس ٤: ٣ - ٦) فضع
 ذاتك ناحية يا أيها الواعظ ودع الله سبحانه يتقدم بواسطة
 وعظك الى شفاء الأتفس . خبرنا الكتاب المقدس أن أناساً من
 اليهود كانوا يعزّمون على الشياطين باسم الرب يسوع فأجابهم
 الروح الشرير قائلاً : أُنّي أعرف يسوع وبولس أعلم من هو .
 وأما انتم فمن تكونون ثم وثب عليهم الرجل الذي كان به الروح
 الشرير وتمكّن من معزّمين منهم وقوي عليهما حتى انهما
 هربا من ذلك البيت عريانين مجروحين (اعمال ١٩: ١٥) فهذا
 عينه يقوله لك الروح الخبيث الساكن في الخاطي اذا لم
 تتّكل على الله ترجع في وعظك بلا ثمرة بل مهشّماً من روح
 الكبرياء الخبيث . فيلزمك اذا ان تتّكل على الله في وعظك
 لهذه الأسباب

بما انت فيه مجتهداً في وقته وفي غير وقته وحاجج ووبخ
وعظ بكل أناة وتعليم (٢ تيموتاوس ٤: ٢) وما احسن ما
قاله النبي في هذا الصدد ارفع صوتك ونادِ بنجرتك ولا
تشفق على خلقك ووبخ آل يعقوب واكشف نفاق اسرائيل
وهذا لا تبلغ اليه الا بهذه الشروط . اسأل تعط اطلب تجد
اقرع يفتح لك (متى ٧: ٧)

الفصل الثامن

في اتكال الواعظ على الله في وعظه

إن الأطباء الجسديين الاتقياء اذا عالجوا مريضاً يعالجونه
بالأدوية المفردة والمركبة وببقي لوازم صناعتهم وهم متكلون
على الله لا على علاجهم في شفاء ذلك المريض . لأنهم هم واذويتهم
آلة في الشفاء . وأما الفاعل فهو الله وحده وخلاف ذلك ضلالة .
هكذا حالك يا ايها الواعظ والطبيب الروحي . فانه يلزمك في
علاج المرضى بالخطايا ان تتكل في شفائهم بالتوبة على الله وحده
لا على ذاتك وصناعتك وآلاتك واطلب منه تعالى ان يساعدك
في تراكيب الأدوية الروحية التي تريد ان تقدمها للمرضى بالروح
فان كان هذا الاتكال نفسه يلزم الاطباء الجسديين فما اكثر

اخلفت بالصناعة لا يعرفون ولا يتنبهون لذلك . وكن بمنزلة
الذي يتعلم السباحة فانه اولاً يدخل في ضحضاح الماء فاذا تمهر
يلقي بنفسه في اللجة ولا يخاف الغرق هكذا انت فاذا تمهرت
في صناعة الوعظ على افلاحين الاغبياء فادخل ح المدن
والكنائس العظيمة وارفع فيها صوتك غير متهيّب احداً لانك
متى هبت السامعين في اوائل وعظك وخفت سطوة المنتقدين
تمكن منك الوهم وهام القلب . وانهدمت حياتك كلها . وهيئات
ان تعود فتتقدم في وعظك الى قدام وهذا من المجرّبات . لان
الخوف الذي يكون قد سكن القلب يتسع في العقل فيفسد
جميع آلاته وقواه . ومن ثم نرى العسكر متى انكسر أمام العدو
لا تعود له جرأة على ان يرجع فيواجه عدوه ايضاً . ودواء هذا
الداء العضال هو انك متى قمت في مقام الوعظ لا تعدّ
السامعين الا مستفيدين فقط من كبيرهم الى صغيرهم وأنهم
كلهم محتاجون اليك لتفيدهم فلا تعتبر مكاناً ولا زماناً ولا
شخصاً ولا كثرة ولا اراكنة ولا رؤساء ولا علماء ولا واعظين
لأنهم جميعاً يطلبون منك الفائدة لبنيان نفوسهم . اسمع
الرسول يشجّعك قائلاً : اكرز واعكف على ذلك بالكلمة واقم

یجب . ان بطرس الرسول لما رأى الرب ماشياً على الماء استهون
 ما رآه وطلب المشي مثله . فلما مشى ورأى تراكم الامواج صاح
 وكاد ان يغرق (متى ١٤ : ٢٨) وقس على هذا الاسلوب حكم
 الفضيلة . فاذا سألت العالم الفيلسوف ما هو التواضع ذكر لك
 حالاً حدّه وتعرفه واقسامه ودرجاته وعلاماته وأسبابه واتسع
 في ذلك اتساعاً عظيماً . فاذا امتحنته بفضيلة الاتضاع بالفعل
 تراه جاهلاً غيياً فيه بالكلية لا يدري منه شيئاً فتكون العجوز
 الغيبة المتواضعة اعلم منه في فضيلة الاتضاع وهو العالم
 الفيلسوف . اذ كان ذاك انما يعرفه بالنظر وهذا تعرفه بالعمل .
 ومن المعلوم أن العملي حقيقي والنظري خالي ولهذا قال
 السيد للكتبة والفريسيين الحق أقول لكم إن العشارين والزناة
 يسبقونكم الى ملكوت الله (متى ٢١ : ٣١) وهذا الحكم جارٍ في
 بقية الفضائل والرذائل . فمن ثم يلزمك يا ايها المعلم أن تمارس
 في اول امرك صناعة الوعظ بالعمل لتتمرّن بذلك ويلزمك اول
 مباشرته أن تعظ في القرى الحقيرة ما بين أناس ساذجين

اولاً لأنك لا تهابهم لعلمك ان ليس فيهم عالم ولا منتقد

وثانياً لأنك اذا غلطت في وعظك او نسيت منه شيئاً او

القراح ماء زُعاقًا لأن خليل المرء دليل عقله فلا تا كل معه ولا
تشتين اطعمته (امثال ٢٣: ٦)

الثالث السؤال اي كن متضعًا مستفيدًا . واسأل وفش عمًا
يفيد في صناعة الوعظ . ولو كان من تسأله دنياً حقيراً كما سأل
داود الملك ذلك الصعلوك المصري الذي حتى دله على الغزاة
الذين كانوا قد نهبوا ماله وعياله واستردّهم (١ ملوك ٣٠: ١١)
فاسأل انت هكذا فتهدي وتصير حكيمًا . وان عز عليك المرشد
والعشير المناسبان فادرُس في الكتب الموثقة في صناعة الوعظ
فانها تهديك هداية كبرى

رابعًا اذا تمت يا ايها المتعلم الشروط الثلاثة المقدم ذكرها
ها هنا يلزمك في هذا الشرط ان تستعمل التمرن وهو انك
تمارس بالعمل ما تعلمته بالنظر لأن النظري خلاف العملي .
ان المهنة تراها هنية في النظر ولكن اذا باشرتها بالعمل تراها
عسرة جدًا . ما اكثر العوام الذين يستهونون طريقة القدّاس
لأنهم يرونها كل يوم . فاذا صار واحد منهم كاهنًا وباشرها بالعمل
يراها عسرة عليه جدًا وذلك الذي كان يراه من قبل هينًا صار
الآن عسرًا عليه في العمل . ويلزمه مرشد وایام ليحفظه كما

يجولون بنظرهم ولقعاتهم . وكيف ابتدأوهم بالاقسام
وانتهأوهم . وكيف يكون ختام كلامهم . واتخذ منهم ما كان
الاحسن لأن المناظرة تؤذن بالمثالة . قال افلاطون : ان
الحديد اذا لمس المغناطيس اكتسب منه القوة الجاذبة فيصير
يجذب حديدًا آخر مثله . وهكذا انت فانك اذا تأملت
في اوضاع الواعظين الحكماء وعاشرتهم في وعظهم تكتسب
منهم ما تراه فيهم من لوازم صناعتك كما يقول مسائر الحكماء
يصير حكماء (امثال ١٣ : ٢٠) اي ان عاشرت واعظًا حكماء
صرت مثله وكن كالنحلة التي اذا وقعت على الزهرة تأخذ منها
الذها وأذكاها اي لا تقلد الواعظ الذي تعاشره الا فيما تراه
فيه من الحركات المناسبة التي تحرّك السامعين الى الرغبة .
وما كان غير مناسب فاطرحه عنك . اذا كان الشمع لينًا انطبع
فيه من نقش الخاتم ما كان بينا . كن انت لينًا بجمادة الرغبة
فينطبع فيك كل ما تراه في الواعظ من الأمور المناسبة وسوف
يأتي الكلام على هذا المعنى مليًا في الفصل التاسع من القسم
الثالث هنا . واما الواعظ المذموم السيرة والمتكبر العاتي فاحذره
وتجنّب مخالطته والنظر اليه بالكآبة لئلا تستقي عوض الماء

ولا يضادهُ في شيء ولا يحكم عليه ولا يدينه . ولا يطلب منه
لماذا يأمره بهذا فإنه على هذا المنوال يصير معلماً ماهراً في تلك
المهنة . هكذا قال الرسول لتلميذه فاستمر أنت على ما
تعلمته واثبتت عليه متذكراً من تعلمت منهم (٢ تيموتاوس
٣ : ١٤) ومن المعلوم انه تعلم من بولس إمام الواعظين علماً
وعملاً . ولهذا صار حكيماً لأنه في فم القطن توجد الحكمة
امثال ١٠ : ١٣) هكذا حزب التلاميذ الاطهار فانهم لما تتلمذوا
للسيد المسيح اكتسبوا أولاً من كماله واعماله وتعاليمه ثم أقاموا
اخيراً على البشارة والوعظ . ولما رجع كثيرون من تلاميذه الى
ورائهم منفصلين عنه حين جبنوا من كلامه قال للاثني عشر
لعلكم تريدون المضي ايضاً . فأجابه بطرس قائلاً : الى من
نذهب ان كلام الحياة الأبدية هو عندك (يوحنا ٦ : ٦٩)
فانتخب لك برشداً على هذه الصفة حتى اذا راودك على الانفصال
عنه تقول له كما قال بطرس لمعلمه

الثاني ينبغي له أن يعاشر الأقوياء في صناعة الوعظ ويسمع
وعظهم ويتأمل في تراكيب كلامهم وحركات أيديهم . فامعن
النظر يا ايها الواعظ المتعلم في هذا كله مدققاً . وتأمل كيف

الصالحه . فمثل هذا ولو كان معلماً ماهراً في صناعة الوعظ فهو
 يضرُّك كما يضرُّك الجاهل . قال الحكميم لا تصاحب الرجل
 الغضوب لئلا تتعلم سبله وتأخذ لنفسك وهماً (امثال ٢٢: ٢٤)
 لانك تتخلق باخلاقه المعوجّه فتظنّها صواباً فتعود تنتصر له
 وتؤيّد غلطه ونفاقه . قال المثل السائر اكبر الأوزار تركية الاشرار .
 فيصير عثرة لنفسك لا تستفيد منه غير العجرفة والصلف . وتظنّ
 أن هذا واجب للواعظ ليزيد كرامته واحتراماً كما سمعت منه
 وأخذت عنه . وفاتك وفاته ان الكرامة في الاتضاع والاحترام
 في الوداعة أبارك الله من معلّم هذه صفاته . فخير لك أن لا
 ترافقه كما كان خيراً ليوضاس الأرافق اليهود ويسلم ربّ
 المجد فدع معلماً مثل هذا ولو كان علامة لئلا يكون لنفسك
 عثرة الهلاك الابدي لأن بعد الاحق خير من قربه وسكوته
 خير من نطقه . واختر لك مرشداً حكيماً روحياً راضعاً حليب
 التواضع والفطنة فإنه يرشدك إرشاداً تاماً . واذا دخلت تحت
 ارشاده فأطعه في كل ما يريكه . قال القديس باسيليوس انه
 اذا اراد احد في العالم ان يتعلّم مهنة ليقوم بشأن نفسه فيتلمذ
 لمعلّم ماهر فيها ويتأمل في حركة يديه . ويطيعه بما يقوله له

ويكون فيها حكيماً أستاذاً تقادراً ليريه شروط هذه الصناعة
 الدقيقة ويبين له آلاتها اللازمة في إتقانها ويوضح له كل
 شيء من حركاتها كما قيل جالس العلماء تستفيد . ومن يريد ان
 يتعلم مهنة فلا يمكنه الوصول اليها من غير معلم يريه أصولها
 ودقائقها . وهكذا حال من يريد ممارسة صناعة الوعظ فلا
 يمكنه التوصل الى غايتها ما لم يكن له فيها مرشد . وبمقدار ما
 تكون المهنة دقيقة بمقدار ذلك يلزمها مرشدٌ ماهرٌ . هكذا
 الوعظ فانه صناعة دقيقة جداً . فلهذا يلزمها مرشدٌ حكيمٌ تامٌ
 بالعلم والعمل . قال القديس يوحنا السلي قبل دخولنا في ذلك
 ينبغي ان نفتش عن نريد ان يسوسنا ونفحص أخلاقه لئلا
 نقع عند نوتي كأنه مدبر سفينة وعند مريض كأنه طبيب
 وعند سقيم بأدواء عزمه كأنه ناج منها وفي لجة كأنها ميناء
 فنصادف لأنفسنا غرقاً معداً اي انه يلزمك في هذه الصناعة
 ان تختار لك معلماً ماهراً بالعمل اكثر من العلم يكون مملوءاً
 اتضاعاً وحكمة الهية . لأنه اذا كان غير حافظٍ شروط الوعظ
 فذهب أيام مقامك معه هدرًا بلا تعلم . او كان مغلوباً بالاهواء
 لنفسه ولشهواته متكبراً عاتياً فظاً غليظاً وغريباً من السيرة

قطعة في بيتها ثم يبرز الى خصمه . وقد قلت واقول ان الكتب
الروحية سلاح الواعظ فكما ان الجندي اذا كان في الحرب بغير
سلاح لا يأمن من خطر القتل كذلك الواعظ اذا كان بلا
سلاح الكتب المقدسة لا يأمن من خطر الغلط ولا سيما اذا كان
الحساد محققين بك يرصدون ليصطادوك كما قلت لك سابقاً
مثلاً كانوا يرصدون المسيح قبلك وكما ان الطائر لا يستطيع
الطيران بغير جناحين كذلك الواعظ لا يستطيع الوعظ بغير
جناحي الكتب المقدسة والكتب الروحية فنجر سفينة وعظك
يا ايها الواعظ من الواح كتب آباءنا القديسين وعلماء
الكنيسة المقدسة وسميها بمسامير كتاب الله العزيز الاشرف
فتسيرح في سفينتك آمناً مطمئناً اضرب الصخرة مرتين فتجري
لك منها المياه (سفر العدد ٢٠: ١١)

الفصل السابع

في معايشرة الواعظين المحققين وفي التمرين في صناعة الوعظ

من يريد أن يتعلم صناعة الوعظ يلزمه أربعة أشياء

الاول أن ينتخب له مرشداً ماهراً في هذه الصناعة .

قال القديس اثناسيوس من يهمل درس الكتب الروحية لا
يستبعد مضرتة وعدم نموه . وثانياً على انه لا يستطيع ان يصلح
وعظه اذا كان فيه نقص لكون الكتب مرآة نرى فيها
وبها نقائصنا . قال القديس غريغوريوس الكبير ان الكتب
الروحية مرآة بازاء انفسنا . نرى فيها أمورنا الباطنة . وثالثاً على
ان الذي لا يدرس الكتب الروحية ليعظ الشعب يكون متكبراً
معتداً برأيه وعقله وعلمه كما قلنا . فهذا إنما يُعدّ واعظاً جاهلاً ليس
فيه روح التعليم ولا هو مقتدٍ بيسوع معلّمه ولا برسوله الذي
قال : ان بشركم احدٌ بخلاف ما بشرناكم به فليكن محروماً (غلاطية
١ : ٨) لأنّ واعظاً مثل هذا لا يكون طالباً في وعظه مجد الله
ورضاه بل مجد ذاته ورضى الناس . فلهذا كانت عِظته ضلالةً
وكذباً . أعاذك الله من هذا يا ايها الواعظ الحق . قد قال بعض
الحكماء للانسان عقل ومنطق فبالعقل يستفيد وبالنطق يُفيد
فاستفيد اذاً من معاني الكتب وأفد السامعين في الوعظ بما
استفدته فادرُس اذاً الكتب الروحية قبل تأليف وعظك وعين
الاماكن التي تريدّها ليسهل عليك ضمّها وتأليفها عند ما تكتب
مقاتلك واعمل كما يعمل لاعب الشطرنج . فانه يضع اولاً كل

درس كتب . أجبتك وهذا حقيقة كسل منك . فان كنت
تكسل في الامور الخفيفة فما ظنك في الثقيلة . وقد سمعت أن
الحائث في القليل خائث في الكثير (لوقا ١٦: ١٠) ان الحداد لا
يستغني عن النار ولو أراد أن يطرق مسماراً واحداً صغيراً

وان قلت رابعاً اني لا افهم الكتب إذا درست أجبتك لماذا
اخذت وزنة سيدك . فقد كان الأوفق لك أن تضع فضة سيدك
على مائدة ليأتي فيأخذها مع ربهما من غيرك (لوقا ١٩: ٢٣) فلا
عذر لك بعد أن تحققت ان الدرس لازم لك في وعظك وتعليمك
ويشهد بصحة ذلك اجتهاد تلميذ الرسول الذي كان منذ صباه
مكباً على درس الكتب كما يخاطبه الرسول قائلاً له انك من
الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة ان تصيرك حكيماً بالايان
بالمسيح يسوع (٢ تيموثاوس ٣: ١٥) فبدونها اذاً لا حكمة ولا
خلاص . لماذا لأن كل كتاب أوحى به بالروح من الله سواء
كان من كلام الله او من كلام الآباء القديسين مفيداً للتعليم
والتقويم وللهذيب بالبر . حقاً ان الواعظ الذي فيه غير الله ينتبه
إذا سمع من الرسول هذه التنبيهات ومن لم يكن مجتهداً على
درس الكتب يدنا أولاً على أنه غير معتن بنموه ووظيفته .

قدّم الرسول هنا درس الكتب على التعليم . وجعله له علة . ولم يكتف بهذا فقط بل انه أخذ يحثه ويحرّضه على الاجتهاد فيه لفائدة نفسه والسامعين له اذ قال ولا حظ نفسك والتعليم واستمرّ على ذلك . فانك اذا فعلته تخلص نفسك والذين يسمعونك فأية حجة يوردها الواعظ بعد هذا في عدم درس الكتب المقدسة الالهية والروحية التي من تعليم آبائنا القديسين . فان قلت او لا لا أحتاج الى درس لكوني حافظاً أشياء كثيرة مناسبة للوعظ أجبتك ان هذه هي الضلالة الكبرى الناتجة من الكبرياء والاعتداد بالذات . وقد تقدّمنا بالتنبيه عليها الى الآن . وقد قال بعض الفضلاء رأس الكفر كراهة التعليم ادرس فتعلم ان كنت مؤمناً

إن قلت ثانياً انه لا كتب لي لأدرس فيها أجبتك بعثوبك واشتر لك سيفاً (لوقا ٢٢: ٣٦) لأن الكتب هي سيف الواعظ وبدونها لا يستطيع الحرب والقتال . فلماذا تجنّدت لهذه الوظيفة أليس لتعظ من كتاب الله وقديسيه . فبع ما يعز عليك واتبع لك كتباً لتكون كاملاً في وظيفة كاملة

وان قلت ثالثاً ان السامعين قليلون لا يحتاج في وعظهم الى

أَرَأَيْتَ رَغْبَةَ النَّبِيِّ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ حَتَّى حَمَلَتْهُ عَلَى تَرْكِ أَشْغَالِهِ
 وَاشْتِغَالِهِ لِيُدرِسَ فِيهِ النَّهَارَ كُلَّهُ . وَكَذَلِكَ الْخَصِيُّ الَّذِي أَخْبَرَنَا
 عَنْهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مُسَافِرًا فِي مَرْكَبَةٍ لَهُ كَانَ مَكْبًا
 عَلَى دَرَسِ كِتَابِ اللَّهِ (اَعْمَال ٨ : ٢٨) وَلَمْ تَمْنَعْهُ مَشَقَّةُ السَّفَرِ عَنْ
 التَّلَاوَةِ . وَهَذَا الدَّرْسُ قَادَهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ فَمَنْ ثُمَّ كَانَ
 الْوَاجِبُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْوَاعِظُ الَّذِي لَا عَمَلَ لَهُ إِلَّا الْوَعْظُ أَنْ
 تَعْكِفَ عَلَى دَرَسِ الْكُتُبِ الرُّوحِيَّةِ دَائِمًا . لِتَجْنِيَ مِنْ رِيَاضِهَا
 أَثْمَارَ الْحَيَاةِ لَكَ وَلِمَنْ يَسْمَعُ تَعَالِيمِكَ . وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عَقْلِكَ
 وَاخْتِرَاعَاتِ تَصَانِيفِكَ . فَإِنَّ هَذَا رَأْيٌ بَشَرِيٌّ لَا رُوحَ فِيهِ .
 وَاقْتَدِرْ بِيَسُوعَ أَسَاسَ وَظَيْفَتِكَ الَّذِي لَمْ تَجِدْ لَهُ عِظَةً خَالِيَةً
 مِنْ شَهَادَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ . فَانْظُرْهُ حِينَ دَخَلَ مَجْمَعَ الْيَهُودِ
 فِي النَّاصِرَةِ يَوْمَ السَّبْتِ . وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُعْظِ الْيَهُودَ تَقَدَّمَ فَتَسَاوَلَ
 أَوَّلًا كِتَابَ أَشْعِيَا لِيُثَبِّتَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ مَجِيئِهِ (لَوْقَا ٤ : ١٦)
 وَقَدْ كَانَ يُمْكِنُهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَمْلُوءٌ حِكْمَةً أَلْهِيَةً أَنْ يُعْظِ بِدِيهَا
 فَلَمْ يُرِدْ لَكِي يَعْلَمَكَ يَا أَيُّهَا الْوَاعِظُ أَنْ تَعْمَلَ مِثْلَهُ . نَرَى الرَّسُولَ
 أَيْضًا يَحْتَثُّ تَلِيذَهُ عَلَى الدَّرْسِ قَائِلًا لَهُ : وَاضِبْ عَلَى الْقِرَاءَةِ إِلَى
 حِينَ قَدُومِي وَعَلَى الْوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ (١ تِيمُوتَاوُس ٤ : ١٣) فَقَدْ

خالقهم الله لذلك لترك الرجل أباهُ وأُمَّهُ ويلزم امرأته فيصيران
 كلاهما جسداً واحداً (مرقس ١٠: ٦-٨) ولما اثبت قيامة الموتى
 استشهد بما قال الله لموسى في سفر التكوين انا اله ابراهيم واله
 اسحق واله يعقوب (متى ٢٢: ٣٢) ولما جادل إبليس مجربهُ ردَّ
 عليه بما قاله في سفر الاشتراع للرب إلهك تسجد واياه وحده
 تعبد (لوقا ٤: ٨) ولا تجرب الرب الهك وليس بالخبز وحده يحيا
 الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله (لوقا ٤: ٤) ولما لَمَحَ
 الى خيانة يوحنا الذي سلَّمهُ اثبت ذلك بما ورد في سفر المزامير
 الذي اكل الخبز معي هو رفع عليَّ عقبيه (يوحنا ١٣: ١٨) وما
 استشهد به من آيات الكتاب المقدس نحو من ستين شهادة
 أوردتها ليثبت بها تعليمه لليهود ولهذا قال انتم تبحثون في
 الكتب لأنكم تحسبون ان لكم فيها الحياة الابدية فهي تشهد
 لي (يوحنا ٥: ٣٩) أَتَأَمَّلَتَ يا ايها الواعظ كيف ينصحك الله
 نفسه بتفتيش الكتب ودرسها لتشهد لصحة تعليمك في يسوع
 الذي لنا فيه حياة الأبد فانَّ درسك الكتب يكون على مقدار
 رَغبتك واجتهادك في وظيفتك قال المرنم ما أشدَّ حبي لشريعتك
 هي تأملي النهار كله فهو طول النهار تلاوتي (مزمو ١١٨: ٩٧)

المقدسة وهي مفضضة بالتعاليم الروحية لكنها مبنية على تعليم الكتاب الكريم ولهذا كان ريشها مذهباً فيازم الواظظ قبل كل شيء أن يواظب على درس الكتاب المقدس اي العهد القديم والحديث لأسباب منها أولاً ان يختار منه الشهادات المناسبة لوعظه ويجعلها الأصول في تعليمه . ثانياً أن يستعير منها بعض تشابيه وأمثلة وأخبار يضمن فيها مقاصده ليستعين بها في وعظه . ثالثاً أن يؤسس وعظه على كلام الله . أولاً لأنه إذا أسس وعظه على صخرة كتاب الله كان كلامه متيناً مكيناً لأنه جبل الأسمئة (مزمو ر ٦٧ : ١٦) فليترن السامعون ح تصديقه والتسليم به ضرورة . لأن كتاب الله حق وهو أصدق القائلين . فلا يرتابن أحد بالواظظ بأنه يقول شيئاً من عنده وإذا قال يلزمه ان يؤيده بنصوص الكتاب المقدس وبتعليم الآباء القديسين الصحيح . كذا كان يفعل يسوع في وعظه مع أنه هو الله حقاً رب المهدين . وروح المسيح هو الناطق في الكتب المقدسة وفي الأنبياء والقديسين . لأنه ان كان احد ليس فيه روح المسيح فهو ليس منه (رومية ٨ : ٩) ولهذا تراه لما أراد أن ينفي الطلاق استشهد بالكتاب المقدس حيث قال في بدء الخليقة ذكرنا وانثى

(مزمو ١١١: ٥) فليس هذا الرشد إلا التهيؤ الواجب عليك ان
تصنعه من باب العدل يا ايها الواعظ . فاذا قد تقرر عندك نفعه
وفائدته فقل مع المرتنم تهيأت ولم أرتبك (مزمو ١١٨: ٦٠)

الفصل السادس

في درس الواعظ الكتب الروحية

ان درس الكتب الروحية المناسبة للوعظ يلزم الواعظ
جداً لأنها هي سلاحه في جداله وجلاده . وكما أن النطق يلزمه
العقل واللسان هكذا الواعظ يلزمه درس الكتب الالهية والكتب
الروحية . وكما أن العقل ألزم في ان يجعل الحيوان انساناً هكذا
الكتب الالهية المقدسة فان درسها ألزم في ان يجعل الانسان
واعظاً ان الروح حل بشكل حمامة يوم اعتماد السيد (لوقا ٣: ٢٢)
ومنها عرف الصانع ان هذا هو المسيح الآتي لخلاص العالم كما
اخبرنا بذلك هو نفسه (يوحنا ١: ٣٣) هكذا الروح القدس فانه
يحل بشبه الكتاب المقدس دائماً على أن تعاليمه إلهية صادقة وقد
أخبرنا المرتنم عن هذه الحمامة قائلاً: أجنحة الحمامة تغطي بالفضة
وريشها بالذهب النضير (مزمو ٦٧: ١٤) اعني ان اجنحة هذا
الكتاب الالهى المقدس هي كتب الآباء القديسين وعلماء البيعة

بانهم يسمعون وعظك . لكنهم في الباطن ذئاب مفترسة
 يترصدون عثراتك كما كان الكتبة والقريسيون يترصدون المسيح
 في وعظه فاحذرهم يا ايها الواعظ لان الحسد قد اذابهم كما اذاب
 قلبهم كهنة اسرائيل حسداً للمسيح الواعظ الحقيقي . ولهذا كانوا
 تارة يطارحونه المسائل المشككة ليصطادوه (متى ٢٣: ٢١) وتارة
 يرسلون اليه جواسيس متشبهين بالصدّيقين ليصيّدوه بكلمة
 ليساموه الى الرؤساء (لوقا ٢٠: ٢٠) وتارة يرسلون اليه شرطاً
 وتارة يثلبون عمله وتعليمه وأما هو له المجد فكان يقهرهم
 بالسكينة ويكيدهم بالصبر والتواضع قائلاً لهم تعلّمي ليس هولي
 بل للذي ارسلني (يوحنا ١٦: ٧) وكان يتجنّبهم كثيراً لئلا يعطيهم
 مادة للحسد فكن انت هكذا يا ايها الواعظ وتشبه بأبيك الذي
 أقامك في هذه الوظيفة وداو الغضب بالصمت والشهوة بالعقل .
 فانك إن تجنّبت مثل هؤلاء ، وأتقنت شرط التهيو تنج من غائلة
 حسدهم وانتقادهم الظالم وتعتهم المفترى . وتعيش ما بين هذه
 الأشواك ببهجة عرضك وصيتك كما يعيش الورد بين الشوك
 ولا يتأذى منه . ولهذا يقول المرثم ما أسعد الرجل الذي يدبر
 كلامه برشده انه لن يترعزع الى الابد ولا يخشى خبر السوء

قبور خطاياهم . وهذا التهيؤ يلزمك لثلاثة أسباب . الأول هو أنك بمقدار استعدادك يكون مقدار راحتك واتساعك في وعظك ويجول جواد معانيك في فساحة ساحة ميدان كلامك وتنسكب عليك المعاني انسكاباً مدراراً حتى تقول حسبي حسبي فتنطق من قوة الى قوة (مزمور ٨٣: ٨)

الثاني انه بهذا التهيؤ يظهر مقدار غيرتك ورغبتك في تخلص الأنفس كما قال المرتنم في هذيبي اتقدت في نار (مزمور ٣٨: ٥) وتكون متشبهاً بيسوع الذي تهيأ للموت ومات من اجل خلاص النفس . وليس بكثير عليك ان تتهيأ من اجل خلاصها بالكلام فمن ثم يلزمك الاهتمام لذلك التهيؤ الدقيق المتواتر وانت تقول مع الرسول كل يوم كان اهتمامي بأمر جميع الكنائس (٢ كورنثس ١١: ٢٨)

الثالث انك بالتهيؤ تنجو من فلتات اللسان وعثراته التي ليس لجرحها التمام . لأن طعن اللسان أمضى من طعن السنان فتنبه وكن يقظاً واعلم بانك وانت في منبر الوعظ تحرق بك حساد كثيرون لابسون جلود الحملان والمغزى وهم في الباطن ذئاب خاطفة ولاسيا المدعين بهذه الصناعة الشريفة يتظاهرون

فكما انا نلتزم ان نكون مستعدين لان نجيب عن رجاء ايماننا
 كذلك يلزمنا ان نتهياً في الخطاب للاجابة عن ثمة ايماننا التي
 هي الخلاص لان الغير المتهي في خطابه يكون مضطرباً في
 كلامه قال الرسول : ان المرتاب يشبه موج البحر الذي تسوقه
 الريح وتخطه (يعقوب ١: ٦) هذه حالك يا ايها الواعظ اذا
 كنت غير متهي فالت تكون ماشياً في عقلك مشية السرطان
 مقبلاً مدبراً معاً متردداً ما بين رأيين لا تدري ايها الاصبوب .
 واذا كان الواعظ ذا رأيين فهو مضطرب في جميع طرقه (يعقوب
 ١: ٨) وهذا عار عظيم يحدثه عدم التهيؤ . ان السيد المسيح لما
 اراد ان يظهر للعالم تهياً ثلاثين سنة قبل ظهوره ومثله يوحنا
 الصانع الذي اخبرنا عنه الانجيل المقدس قائلاً : وكان في البراري
 الى يوم ظهوره لاسرائيل (لوقا ١: ٨٠) وهذا كان لتعلم ان تهياً
 قبلاً للامور المهمة ولا اهم من وظيفة الوعظ المتوقفة عليها الهداية
 والدراية قال صاحب الرويا ولما فتح الحتم السابع حدث سكوت
 في السماء نحو نصف ساعة (روياء ٨: ١) فهذا السكوت رمز الى
 التهيؤ لصراخ السبعة الابواق المزمعة ان تلاشي العالم فتهياً انت
 اذاً من قبل ان تنفخ بوق الوعظ الاخير وتنهض الناس من

الى كتابة . وعين اما كن الشهادات والبراهين والامثلة والأخبار
فهي للوعظ كالسامير لأنها أوّلاً تمكن ببيان وعظك . وثانياً
تسعف القوة الذاكرة لئلا تشرذ عن البحث الذي انت فيه
فتكون بمنزلة درج السلم تصعد فيه درجةً فدرجةً . وهذا التعيين
ضروري للواعظ والأفوه يخط في وعظه خبط عشواء فيكون
بمنزلة اعمى ضائع في غابة (حرش) لا يعرف اين يهتدي ولا يدري
اين ينتهي وهذا شيء فظيع جداً وخزيٌّ مرٌّ على الواعظ . قد
هدم واعظين كثيرين وعطلهم من صناعة الوعظ الشريفة فالتهيؤ
يخلصك من هذا المحذور ويرد عليك ضالتك . قال الحكيم
ينصحك أرأيت الانسان العجول في كلامه إن في الجاهل رجاء
اكثر منه (امثال ٢٩ : ٢٠) اي لا تؤمل منه اصطلاحه ولا
فائدتك فسبيلك اذا يا ايها الواعظ أن تتهيأ لوعظك كما قلنا
لتتقن صناعتك ولا تكن كالنسان يجرب الرب (ابن سيراخ
١٨ : ٢٣) اي لا تخاطر معتمداً على سعة ذهنك وحافظتك
وشغشقة لسانك فانك بهذا تكون متكبراً مهذاراً لا واعظاً
متواضعاً . قال بطرس الرسول : كونوا مستعدين دائماً للاحتجاج
لكل من يسألكم حجج الرجاء الذي فيكم (١ بطرس ٣ : ١٥)

بسبب هذه المحذورات كما نفر السيد قبلك من ذلك حين
قال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخي يقاسمني الميراث فقال
له يا رجل من أقامني عليكم قاضياً او مقسماً (لوقا ١٢: ١٤)
لأن السيد كان عارفاً بأن أخاه ظلمه بالإرث فلو قضى بينهما لما
خلا من وجد عليه فهذا امتنع من القضاء لئلا يثلم الوعظ الذي
هو فيه حالاً لأن ذاك طلب منه القضاء وهو في حال وعظه
وتعليمه

الفصل الخامس

في تهيو الواعظ للوعظ

يلزم الواعظ أن يتهيأ مستعداً للوعظ قبل وعظه بأيام ملائمة
لموضوع الوعظ مطوّلاً كان او مختصراً . فالاستعداد له واجب
وضروري جداً ويلزمك في هذا التهيو يا ايها الواعظ شيان
الاول درس الكتب المناسبة لموضوعك وهذا يأتي بيانه في
الفصل التالي . الثاني أن تكتب في كاغد كتابة مختصرة مقدمة
وعظك وأقسامه واحفظ غيباً ما كتبتة حفظاً تاماً حتى اذا
القيته على الناس لا تنسى منه شيئاً ولا يشرّد عنك منه شيء .
وأما بقية الفاظ الموعظة فضعها من عندك كهواك فلا تحتاج

ثامناً ان الرئيس يجرح بسيف حكمه . والواعظ يداوي
بيلسم وعظه . ان بطرس قطع أذن عبد عظيم الكهنة ويسوع أبرأها
(يوحنا ١٨ : ١٠) هكذا الواعظ فانه يداوي ما يجرحه الرئيس
بسيف رئاسته

تاسعاً ان الرئيس له شغل واحد وهو العلم . واما الواعظ
فله شغلان العلم والعمل فهو اعظم هكذا قال الله من يعمل
ويعلم فذاك في ملكوت السماوات عظيم (متى ١٩ : ٥)
عاشراً ان الرئيس حكيم في العالميات يأمر وينهى . والواعظ
حكيم في الروحيات والنظريات يرم وينبي بالسلطان الذي أُعطي
له على حسب كلام الله . الثاني لا تكن يا ايها الواعظ قاضياً
لأسباب . الاول أن القاضي من شأنه ان يغيظ أناساً ويرضي
أناساً . الثاني أنه يُشكّ فيه بالرشوة . الثالث أنهم ينسبونهم الى
الرثاء والمحابة . الرابع انهم يقذفونه بالجور والعدوان وربما تباع
بك الطبيعة الى مثل هذه المظنّات لانه لا صالح الا الله وحده
(مرقس ١٠ : ١٨) وهذا يؤكّده ما قاله الله في ابتداء خلقه
الانسان ان كل تصور افكار قلوبهم انما هو شرّ في الأيام
(تكوين ٦ : ٥) فانشر اذاً من القضاء الذي يفسد ثمرة وعظك

في ان الواعظ يحترس من ان يكون رئيساً وقاضياً ٦٩

والشكوك كما قلنا في الفصل المتقدم ولهذا يقول السيد ان
شككتك يدك او رجلك فاقطعها (متى ١٨: ٨)

رابعاً ان الرئيس مشغل بمهمات عالمية كثيرة . والواعظ
مشغل بالامور الروحية فيما يخص الوعظ والتعليم كقول السيد:
مرتا مرتا انك مهتمة ومضطربة في أمور كثيرة ولنا الحاجة الى واحد
فاختارت مريم النصيب الأصح الذي لا يُنزع منها (لوقا ١٠: ٤١)
خامساً ان الرئيس تلزمه المعاملة . والواعظ مقطوع عنها
لأن الله دعاه كما دعا متى العشار (مرقس ٢: ١٤)

سادساً ان الرئيس يلزمه أخذ خواطر الناس لتمام القيام
برئاسته . والواعظ يلزمه ان يكون مع الجميع على حالة واحدة
مثل يسوع الذي شهد له اعداؤه قائلين: انك لا تنظر الى
وجوه الناس (متى ٢٢: ١٦)

سابعاً ان الرئيس تلزمه صحبة الأكابر والاعيان خوفاً من
شرهم . والواعظ يلزمه ألا يخاف احداً غير الله كقوله تعالى
لا تخافوا ممن يقتل الجسد ليس له بعد ان يفعل اكثر لكني أبين
لكم ممن تخافون خافوا ممن اذا قتل له قدرة ان يلقي في جهنم
(لوقا ١٢: ٤-٥)

تسلم نفسك عن الخراف الضالة من شعب اسرائيل المسيحي
كما سلم المسيح نفسه عنك ولا تنس نعمة الضامن لانه اسلم
نفسه من اجلك (ابن سيراخ ٢٩: ٢٠) وتشبه ايضا بيوحنا الصابغ
الذي استغفى من ان يضع يده على راس المسيح في العماد وكان
ذلك تواضعا منه (متى ١٤: ٣) مع ان السيد طلب ذلك . لا
تقل ان الله دعاك الى الرئاسة . ولو فرضنا هذا القرض الغير
المعلوم والغير المحقق لزمنا ان نتجنبها بكل جهدنا

أولا ان الرئيس ذو حكم وبطش . والواعظ تلزمه الوداعة
والحكمة كقوله تعالى كونوا حكما كالحيات وودعاء كالحمائم
(متى ١٠: ١٦)

ثانيا ان الرئيس يذم أكثر من ان يمدح لكونه حاكما
والحكم يثقل على الطبيعة والواعظ يلزمه ان يكون محبوبا من
الجميع ليفيد في وعظه ولهذا اوصى السيد تلاميذه قائلا: أحبوا
أعداءكم (لوقا ٦: ٣٥) لئلا يكون منهم سبب ليُبغضوا بل
ليُحبوا كما يُحبون

ثالثا أن الرئيس يلزمه مخالطة الناس لاسباب تقتضيها
رئاسته . والواعظ يلزمه تجنب الناس ليصان من العثرات

في ان الواعظ يحترس من ان يكون رئيساً وقاضياً ٦٧

المثل الذي مدح فيه السامري لأنه دنا من ذلك الذي وقع بين
الصوص وجرحوه فضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وحمله
على دابته واتى به الفندق واعتنى بأمره حتى يشفى (لوقا ١٠: ٣٠)
فالسامري كناية عن السيد المسيح الذي سعى بخلاص آدم الجريح
من الشيطان ثم عنك ايضاً يا ايها الواعظ لأنك قائم في وظيفة
المسيح تشفى بوعظك كلوم خطايا البشر فكما ان السامري فضل
بوظيفته ذلك الكاهن واللاوي اللذين صادفا الجريح وتعدياه
هكذا وظيفتك التي تداوي فانها تفضل الوظيفة التي تجرح .
فان الرئاسة تشغل عن الوعظ من قبل المهمات العالمية الملتزم
بها الرئيس ضرورة . واما وظيفتك فانها تحثك على الوعظ من
قبل تفرغك لذلك . فما اعظم الفرق بينهما . فاهرب انت يا ايها
الواعظ من الرئاسة كما هرب يسوع رب وظيفتك من الملك
فر انت هارباً لا من رئاسة الكهنوت فقط بل من خدمة الكنائس
ورئاسة الرهبان ايضاً فان هذه كلها اشتغالات تنافي وظيفة
الواعظ والتحق بيسوع الذي سلمك في وظيفته كما سلم بطرس
مفتاح العلم والعمل لتداوي اولاً بيلسم سيرتك . ثانياً بيلسم
وعظك وتعليمك . فهما ذلك الزيت والخر فتلتزم من هنا ان

بيده قارورة البسم حتى اذا جرح ذاك بسيف حكمه يداوي
 هذا بيلسم وعظه . هذا نفسه يلزمك يا ايها الواعظ أن تفر من
 الرئاسة ككهربك من السيف الصارم فلك ان تكون رئيساً
 وواعظاً لكن كن وقت الرئاسة حاكماً ووقت الوعظ اباً حكيماً
 قال الحكيم : للقتل وقت وللمداواة وقت (الجامعة ٣ : ٣) والا
 فهو اجتماع النقيضين وهذا مستحيل . لقد رذل الرسول ذلك القم
 الذي تخرج منه البركة واللغة (يعقوب ٣ : ١٠) فمن شأن الرئيس
 ان يحرم ويلعن تأديباً لرعيته حتى لا اقول حباً للفضة . ومن
 شأن الواعظ ان يبارك طلباً لثمرة وعظه وهي تخليص النفوس .
 فكيف يمكنك ان تكون رئيساً وواعظاً معاً بسلطان واحد فيهما
 فاعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله فتكون منصفاً . فلهذا أشير
 عليك اذا كنت واعظاً ان لا تطلب ان تكون رئيساً لما يأتي بيانه
 وان الجأتك الضرورة الى ذلك فكن حكيماً وضع كلاً في مقامه .
 ان السيد له المجد لما علم انهم مزعمون ان يأثوا ويخطفوه ليصيروه
 ملكاً فرّ هارباً الى الجبل (يوحنا ٦ : ١٥) لئلا يفقد المداواة بالوعظ
 في تخليص الانفس التي جاء من اجلها ليشفي بيلسم دمه الزكي
 ذاك الذي جرحه ابليس بمكره كما بين لنا هذا المعنى بذكر

في ان الواعظ يحترس من ان يكون رئيساً وقاضياً ٦٥

الرسول لتلميذه أما أنت فتيقظ في كل شيء واحتمل المشقات
واعمل عمل المبشر أوف خدمتك (٢ تيوتاوس ٤: ٥) وكن
صافي العقل ونقي الضمير من ظلمة المعاشرة وكدر أدناس الناس
الذي لا بد منه ان فقدت في ذلك مصباح الفطنة وملح الحكمة
متذكراً خطر المؤمن الذي يعتريه زوان النفاق وفقد حرارة
الايان المستقيم عند معاشرة الكفار والمبتدعين والمعاندين

الفصل الرابع

في ان الواعظ يحترس من ان يكون رئيساً وقاضياً

الاول يلزم الواعظ ان يتجنب الرئاسة بكل جهده لكونها
حملاً ثقيلاً باهظاً تعجز عنه مناكب الملكة كما قال المجمع
التريدنتيني العام المقدس . لانها تسبب أتعاباً ومخاطرات تفوق
قوة صاحبها فمن هنا كان حب الرئاسة رأس المحن . قال ارسطو
ان السياسة لا تصلح لخلق البتة إنما هي مِحنة يُمتحن بها الناس .
فالعاقل يبين من نفسه الضعف عن القيام بتدبيرها والجاهل
يُري أن في قوته وطبعه ما يقوم بأضعافها . فلهذا لا مناسبة
بين الرئاسة والوعظ . بل نرى بينهما تضاداً عظيماً بينا لأن
الرئيس مجرد في يده سيف الحكم والانتقام . والواعظ حامل

(مزمو ١٨: ١٣) فلا تكثر اذاً من زيارات العوام ومواكلتهم

الآ في الامور الروحية

ثالثاً لأن أعمال العوام بمنزلة الجرب الذي يعدي من

يامسه فإذا خالطتهم يا ايها الواعظ يعدونك من جرب اعمالهم

الردية لانك تاتزم من جهة المعاشرة ان تشاركهم في شرهم

حياء منهم لترضيهم لأن شرط المرافقة الموافقة والمجالسة

المجانسة . قال بعض الفلاسفة لا تُكثرن من معاشرة الناس

لان من عاشرهم داراهم ومن داراهم رآهم ولهذا حذر

السيد تلاميذه قائلاً انظروا واحذروا من خمير القريسيين

والزنادقة (متى ١٦: ٦) اي من تعليمهم . وهؤلاء كانوا نسأك

اليهود فان كان السيد يمنعنا من معاشرة المتظاهرين بالعبادة

مثل هؤلاء والآن تعلم منهم فيكم يلزمك يا تلميذ المسيح

ومبشره ان تمتنع من مخالطة العوام السائرين بالجهالة ولا تخلو

من دنس اعمالهم لأن من يلمس القير يتوسخ (ابن سيراخ

١٣: ١) قال الانبا توما الكميسي ما عاشرت الناس الا رجعت

انساناً انقص . ان الذهب بهي المنظر فاذا خالط الزئبق زال

بهاؤه فتيقظ اذاً يا ايها الواعظ وكن منتبهاً وانتصح بما قاله

لا يمكن ان يكون للواعظ الا اذا أقلّ من مخالطة الناس . ان إناء ماء الورد اذا هُرِق ذهب طيب رائحته كذلك الواعظ فانه اذا اكثر من التردد أضع طيب قيمته فتذهب رائحة وعظه

ثانياً لان الواعظ الكثير التردد بين الناس لا يخلو من نقص في طبيعته وكلامه وحركاته لضعف الانسان ولهذا يقول الرسول ان فلنا ان ليس فينا خطيئة فانما نُضِلَّ أَنْفُسَنَا وليس الحق فينا (١ يوحنا ٨: ١) قال القديس فرنسيس سالس انه لمن المستحيل ان نخلو بالكلية من الخطايا العرضية فاذا رأت العوام من الواعظ هفوات جزئية يستعظمونها ويستغربونها فيعتثرون في دينونته والازدراء به ولم يعرفوا ان الصديق يسقط كل يوم سبع مرات (امثال ٢٤: ١٦) وهو صديق لكون سقوطه في هفوات طبيعية . ولهذا تحتجب الملوك ورؤس الكهنة لتحفظ لهم كرامتهم واحترامهم فيفضي ذلك بالعوام الى أن يتجاسروا على التورط في الكبائر اقتداءً بالصغائر التي رأوها في الواعظ فتكون لكثرة معاشرتكم للعوام يا ايها الواعظ قد سببت شروراً عظيمة وانت لا تدري وهذه هي الخفيايات التي طلب المرغم النجاة منها بقوله نَقِّنِي من الخفيايات

الرجوع الى معاشرتها فتكون الضلالة الاخيرة شرّاً من الاولى
 الثالث ان الواعظ يلزمه ألا يتظاهر بين الناس كثيراً لكون
 الناس يخالون الواعظ لسماعهم خلاصة وعظه وتعليمه انه ليس
 من البشر بل هو ملك سماوي يفوق الطبيعة البشرية ولهذا
 يقول الرسول اننا صرنا مشهوداً للعالم وللملكوت وللناس (١ كورنثس
 ٩: ٤) وهذا ظنّ حسن من العوام لكن يلزم الواعظ أن يحقق
 ظنهم باستقامة أعماله . لانه في وظيفة المسيح الذي كانت أعماله
 تشهد لفضله . فاما إذا كان الواعظ ليس هو عند نفسه كما
 يظنه الناس فيلزمه ان يتجنبهم الا قليلاً ويتجنب مخالطتهم نظراً
 الى الغاية لأن فضل العقل النظر في العواقب أولاً لكي لا يحقر
 شأنه عندهم من زيادة تردده ما بينهم فاذا قلّ اعتباره قلّت
 فائدة وعظه لأن الشيء الثمين اذا كثّر في مكان رخص ثمنه .
 قالت الحكمة الالهية من هذه الطالعة من القفر كعمود من
 بخور معطرة بالمرّ واللبن وجميع أذرة العطار (نشيد ٦: ٣) ان
 هذه صفة الواعظ اذا صرخ من القفاري من مكان خلوة يلزمه
 أن يكون لدى الناس ذائحة ذكية كالطيب وهكذا يقول
 الرسول انا نحن نفحة المسيح الطيبة (٢ كورنثس ٢: ١٥) وهذا

وتعتقها المنادمة والمواكلة وهلم جرا ولهذا يقول الحكيم لا
تجالس ذات البعل البتة ولا تتكئ معها على المرفق (ابن سيراخ
١٢: ٩) يريد لا يقع منك ذلك الا مع زوجتك فتنبه فان صنت
معهما نظرك ولسك حفظت ثروة عفتك التي حضك الحكيم
على حفظها وأما إن رأيت في انفصالك عنها صعوبة وشعرت
بألم الفراق وتوجعت من مباينة لذة معاشرتها فاعلم انك مجروح
بسكين هواها وانك صرت في محبتها اسير الشهوة وقد
اصطادتك بمكر شفتيها وعرقلتك بوهق عبادتها الباطلة الخادعة
وقد صرت عاشقا لا واعظا ولا مرشدا فاهرب اذا حالا وعد
عنها ولا تُقم معها ولا يوما واحدا والا فيبعد عنك أخيرا
التخلص منها كما يبعد الخلاص عن الطائر الواقع في الشرك
وكثيرون تورطوا في هذه القضية لجهلهم فمسر عليهم الخلاص
حتى صار اغرب من اقامة الموتى فان كان الله اعطاك نعمة
خاصة ونجوت من مخالب تلك المرأة ورأيت قلبك بعد الهرب
منها ملتذا بفكرها وذكرها فاعرف ان هواها بعد فيك حيا
فدواؤه أن تتناسى معاني معاشرتها وتنكب سماع اخبارها وإياك
ثم إياك من مكاتبتها او مراسلتها لئلا تعود الى قيئك وتطلب

مع هذا كله يلزمك التحرز منها وانتصح بما قاله الحكيم لا تسلم
ثروتك الى النساء (امثال ٣١: ٣) قد منعك الروح القدس هنا
عن ثلاثة اشياء في معاشرتك النساء الاول ان تتأمل في جمال
المرأة او في بهاء زينتها لئلا يرتسم في عقلك شخصها وحركاتها
فتشير عليك حرباً عظيمة في الخلوات فتدنس ولهذا يأمر
الحكيم قائلاً لتكن ثيابك بيضاء في كل حين (جامعة ٩: ٨)
اي لتكن حواسك بيضاء بالغة والطهارة دائماً ولا شيء من
الحواس يدنس النفس مثل النظر لأنه يرسم في العقل رسوماً
لا تمحي ولهذا كان أصعبها

الثاني ان تمسك يدها او تمس شيئاً من ثيابها قال الحكيم
ان المرأة مقنص الصيادين قلبها شبكة ويدها قيود (جامعة
٢٧: ٧) لانك ان تهاونت بهذا تتصل الى ما هو شر منه وهو
الدالة والمرأة قريبة من هذا جداً للين طبعها وضعف عقلها
وشدة ميلها نحو المحبة فتقتنصك بذلك وتقيدك بسلاسل يديها
كما قيدت شمشون

الثالث ان تدعها تمسك يدك وتقبلها إياك ثم إياك من
ذلك لأن هذا أول آلات إبليس في معاشرة المرأة ومجالستها

وهو الوعظ المقدس ألا في الضرورة اللازمة او في وقت الرسالة أو اذا ألزمتك الطاعة فاذا مارست تدبير الانفس ولا سيما النساء فلا مانع لك لكن بهذه الشروط اولها ان يكون الى زمان محدود لا دائماً . ثانيها لا تختص بواحدة منهن . ثالثها لا تذهب اليها إلا اذا ألجأتك الضرورة كما في وقت المرض وغيره . رابعها ألا تستخدمها ولا تقبل منها هدية خصوصية لك لتدفع عنك غائلة الزيارة والضيافة . خامسها ان تعد نفسك وانت كأنك ماس بيدك اواني القدس المفردة (المكرسة) لله لتقتني وانت معها ضبط الحواس والأدب والاحتشام وتدفع عنك غائلة الدالة والضحك والكلام البطال . سادسها أن تسليح نفسك بأسلحة الرياضات والتأملات الروحية سائراً على مصباح الفطنة لتصون معها فكري ونظرك دائماً . سابعها انك ان عاشرت امرأة في تعليم روحي وكنت لها اباً مرشداً ومعلماً في الاعتراف كما قلنا وأردت ان تعرف هل انت معها على حالة ترضي الله ام لا فافحص ضميرك في وجودك معها فان رأيت انك عند انفصالك منها لا تشعر بألم الفرقه وان وجودك وعدم وجودك معها سيان فانت حر من أسر محبتها وقلبك غير متعلق بها ولا ينجرح بسهم حبها البهيمي ولكن

مدبرهن ومرشدهن أكثر مما استفدن منه فهو لاء اللاتي
تفيد معاشرتهن بالفطنة. هو لاء اللاتي يسرن بالسذاجة المسيحية
هو لاء اللاتي يؤمن اليهن. فالخلق اذا بمثل هذه المرأة المقدسة
ان تسلم الى أب مقدس. فالثوب الملكي للملك. ان ملكه
القلاح فلا يعرف قيمته. فالمرأة الكاملة بعقلها وسيرتها وفطنتها
لا يستحقها الا تدبير مرشد كامل بعقله وسيرته وفطنته لتريد به
كالا وتقديسا كما قال صاحب الرؤيا من هو بار فليتبرر بعد
من هو قدس فليقدس بعد (رؤيا ٢٢: ١١) فتسلمها يا ايها
الاب القديس واستفد من خصالها الكاملة اكثر من أن
تفيدها ومع هذا كله يلزمك الاحتراس معها ناظرا الى ضعفك
والى عدم اتكالك على ذاتك وانت كنت غير كفوء لها ولا
تقوى على حفظ نفسك معها فدعها لغيرك اكمل منك يرشدها
وأما انت يا ايها الواعظ فقف جانبا ولا تلمس تابوت الرب مثل
عزة فتسقط ميتا (٢ ملوك ٦: ٦) ودع الذي الرب انتخبه لتدبير
الانفس في طريق الكمال المسيحي يتقدم عنك فيباشر وظيفته
ولا تفارق انت وظيفتك فقد رذل الله شاول الملك حين تطاول
الى وظيفة غيره فاعتبر انت بهذا وكن مشغولا بما انتخبك الله له

عليها عطراً وزهراً ذكياً فهذا فعل ظاهره كرامة لكن باطنه مملوء حباً أليماً. فلتحذر الكهنة هذا لئلا يُدانوا مع الزناة فأغلب إذا هذه يا ايها المجاهد لتنال مرتبة الغالبين كما قال السيد ومن غلب فاني أوتيهِ أن يجلس معي على عرشي كما غلبت انا وجلستُ مع أبي على عرشه (روياً ٣: ٢١)

خامساً انني لاستثني هنا بعض نساء عفيفات عابدات حقاً مدبرات من الروح القدس على أيدي كهنة آباء افاضل مُفعمين كمالاً وقداً وحكمةً روحيةً مسيحيةً فترى المرأة العابدة حقاً. الاتضاع اساسها. والسذاجة بيتها. ومحبة الله سورها. والتأملات الروحية قوتها. والفطنة مدبرتها. والطاعة مقودها. والعفة زينتها. والفضائل ثوبها. والأدب والاحتشام جمالها. وتجنبها الناس شغلها وعملها فتراها متصرفةً مع ايها الروحي باحتشام وتهيب منزله عن كل دالة عالمية ومحبة لينة فبهذه العلامات تعرف المرأة العابدة حقاً الطالبة الكمال المسيحي يقول الحكيم المرأة الحية نعمة على نعمة (ابن سيراخ ٢٦: ١٩) حقاً ان الذهب لا يوازي مثل هذه العفيفة. قد ابصرت نساء طاهرات في عفتن كاملات في سيرتهن وعبادتهن قد أفدن

النساء بالكلية . ان الحجر كلما قَرُب من مركزه اشتدَّ انحداره
وانحطاطه شوقاً الى مركزه وانت كلما دنوت من النساء اشتدَّ
فيك ميلك اليهنَّ شوقاً الى عنصر طبيعتك . فأبعد الحجر عن
مركزه وأسندهُ فإنه لا ينحدر . ابعد انت عن النساء واستند الى
آلام يسوع وصلبه فانك لن تسقط الى الدهر . وليس لنا غير
هذا الدواء في مثل هذا الداء قال القديس اغوستينوس انه
لن يوجد علاج اقوى وأنجع فعلاً عند تجارب الزنى مثل التأمل
في آلام سيدي ومخلصي يسوع المسيح وموته ثم ان هذه
التحذرات كلها لا تختص بالواعظ وحده بل هي لازمة ايضاً
لكل كاهن وراهب وتلزم خاصة معلمي الاعتراف لاختلافهم
بالنساء من أجل ضرورة الاعتراف . فإنه إن لم يكن حذراً عفيفاً
أميناً يسقط ضرورة ولو بالحواس مطلقاً فيلزملك يا ايها الكاهن
ان لا تعطي المرأة يدك لتقبلها . فاحترس من هذا المحذور جداً
لانه لا يخلو من لذة بهيمية منك ومنها وهذا المعنى قد اهلك
كثيرين كما قال لي أناس أتقياء أنقياء رأوا ذلك في الرؤيا واراد
الله ان يريهم هذا لكي يذنبوا عليه وقد يوجد شر آخر من
بعض النساء يأخذن ثياب معلمين الكهنة فيطوينها ويرششن

في تجنب الواعظ كثرة التقرب الى الناس ٥٥

العفة والطهارة ولا سيما اذا كان هناك سم الدالة والواعظ مُقْرِير
من الرياضات والتأملات العقلية خالٍ من التهذيب الروحي
ليس له مصباح الفطنة. فاطر اذا من هيروديا خائفاً جزعاً لانها
قد اخذت من قلبك راس يوحنا في طبق ولا تركن اليها
حياتك كلها لانها تكشف الأسرار وتهتك الأستار. وقد طالما
علمتها وارشدتها وخصصتها بامور روحية من باب المحبة والاكرام
وهي تنقل كل ذلك الى الغير لتباهي به قدامهم فتتهتك عرضك
بقلة عقلها وانت لا تدري ويتأتى من هذا كله فساد وعظك
وتعليمك للناس وربما لافراط دالتها عليك تدبرك وتشير عليك
بما تعظ به وتوبخ عليه وتقول للناس انا قلت له ليقول كذا وكذا
تباً لها من هتيكة كبيرة وعثرة شنيعة. قال الانبا توما
الكميسي استودع الله جميع النساء الصالحات فما ظنك بغير
الصالحات واحذر ان تقبل لمن مولوداً في المعمودية فان
هذا من اعظم اشراكهن في المعاشرة لانه يسبب لك اكثار
التردد اليهن بالأمان بحجة النسبة الروحية فتكون قد أعطيت
القدس للكلاب والقيت الجوهرة للخنازير فلا تستبعد ان ترجع
فتشقق (متى ٦: ٧) فاجتهد اذا يا ايها الواعظ ان تجنب معاشره

ومن مكرهنّ يذرنّ النذور والصلوات ليمتلكنّك أباً مرشداً لهنّ
 وإذا حصلنّ عليك يأخذنّك بوهق الخدمة والهدايا والزيارة
 وهذا خلاف المراد من العبادة الحقيقية المقتضية محبة يسوع
 وخدمته وحده. وإذا غبت عنهنّ يضطرنّ اليك شوقاً ومن
 هنا يقول أيوب البار قد عاهدتُ عينيّ ألاّ أتأمل في عذراء
 (أيوب ١: ٣١) قال القديس يوحنا الذهبيّ الثمّن في تفسيره
 هذه الآية ان أيوب قال هذا لنكون حذرين من هذا الأمر
 ولو كنا قديسين مثل أيوب. فكيف يأمن على نفسه بعد هذا
 كله ذاك الواعظ الذي لا يحترس لذاته من معاشرّة
 النساء ويأمن اليهنّ فهل انت أعظم حكمة من سليمان وداود
 أبيه فان كان هذان العمودان الوطيدان قد سقطا لما لم يحترسا
 فكيف تأمن السقوط وأنت أو هي من بيت العنكبوت. وهل
 انت أكمل من آدم واشرف من يهوذا جدّ المسيح بالجسد
 وأقدس من داود واحكم من سليمان وأشجع من شمشون. فهو لا
 كلهم قد سكرت اذبال من دمهم وانت الآن لا تعتبر وسراج
 عقلك قائم في مهبّ الرياح العواصف. اني لأتعب من واعظ
 يملأ جوفه لحماً ورأسه خمرًا ويعاشر النساء. كيف يمكنه حفظ

في تجنب الوعظ كثرة التقرب الى الناس ٥٣

المستقيم في تعليمها في دروب معوجة وتشكّ فيك ان مرادك
من معاشرتها انما هو لذة التعليم وربما تخبرك بهذا كأنها تشكو
ذاتها امامك وتحركك من خبئها الى شيء لم يكن في وهمك
وليس هي الحركة هذا بل الشيطان الناطق في فمها كما نطق
قديمًا في فم أمها حواء. ولهذا رآها صاحب الرؤيا راكبة على
وحش قرمزي مملوء اسماء تجديف وهي سكرى من دم
القدّيسين (رؤيا ١٧: ٦ و ٣) اي انها قتلت قبلك يا أيها الواعظ
قدّيسين كثيرين وشريت دم نفوسهم ولهذا كانت سكرى
وليس الوحش الراكبته الا شيطان الزنى يعرض بها من واحد الى
آخر لانها بضاعته واسماء التجديف هي صفات المرأة الشبقة
التي تسبب الاهانة لله باتخاذها الامور الصالحة في معرض الخبث
والمكر وتصير بهذا عثرة لمحبيه. وكونه قرمزيًا احمر رمز الى شدة
اضطرام الشهوة المسبب عن غليان الدم عند المعاشرة فاحترس
اذًا يا أيها الواعظ من النساء ولا تكن بغير خوف اذا
خاطبتهن

رابعًا اهرب يا أيها الواعظ من الامان مع النساء لانه لا

امان لك معهن ولا سيما البنات الابكار المضطربات بنار الشهوة

يبين لك ولو كان دقيقاً من تلقها لك وتودُّدها ومن حرَّكتها ولينها
وانعطافها ومن تهندم لبوسها ومشيتها وخطراتها ومن ابتسامها
وبشاشتها ومن اشارتها وخدمتها لمن تحبُّه وكثرة كلفتها عليه
من مالها وكدها. وظاهر هذا عبادة لكن باطنه خبث لأنها
أمارات فساد لا أمارات عبادة لأنَّ العبادة الحقيقية تقتضي
خلاف ما ذكرناه كله. فالويل لمن لا ينتبه الى مثل هذه
الدسائس الموبقة فانجُ بنفسك يا هذا ولا تركز الى محبة المرأة
المبنية على أساس الخبث لأنها متى استحسنت افترست من تحبُّه
حالا كالاسد الضائر قال الحكيم لا تصغين الى مكر المرأة فان
شفيتها تقطران شهداً وحنكها ألين من الزيت لكن عاقبتها مرّة
مثل العلقم وحادة كسيف ذي حدّين (امثال ٥: ٣) فلا
تصدقها كما نصحك الروح القدس ولا تعتقد ثباتها على الخير فلا
تطلب الطيران من النوق ولا تطلب الثبات من المرأة لانها
متى تمكّنت من عشرتك وصدّقت صلاحها المؤسس على
جرثومة الخبث وركنت اليها رجعت ولدغتك كالحية. لا
تؤاخذها هذا طبعها. انت معتقد صلاح نيتها معك من جهة طلبها
التعليم والفائدة وهي تعتقد سوء نيتك معها لأنها تتخذ كلامك

في تجنب الواعظ كثرة التفرب الى الناس ٥١

تميز ليتسابقن الى محبتك الكاذبة. فتش قلب الواحدة منهن تجده مملوءاً أصناماً نجسة ويتجن من هذا خبثاً عظيماً يخدع عن به قائدتهن ومرشدهن بما يقدمنه له من التودد النغل واصناف العبادة المملوءة من لذة خبث المعاشرة. ولهذا نرى المرأة غير ثابتة في العبادة والتوبة والصلاح لأن الخبث قائدتها ومرشدها. وانا أريك في خبثها امراً آخر دقيقاً جداً وهو انك اذا اظهرت لها الغيظ ورمت ان تنفصل عنها مغتاظاً تراها تجثو لديك متضرعة وتظهر لك خضوعاً وخشوعاً ودموعاً كأنها خاطبة لا تروم مفارقتك لئلا تهلك ولهذا تثبت وتمنعك أن تفارقها هكذا بكل جهدها وتتعلق بك تعلقاً يستح منه فأقول لك لا تصدق هذا منها لان حبها لك المنكر يسوقك معك الى هذا المظهر الخبيث ولا تصدق دموعها فانها ضدية. باطنها خلاف ظاهرها اذ لو كان قصدها مستقيماً معك لصبرت على ذلك بكل اتضاع كان الله يريدُه فان كنت غير محترس فتميل الى مرادها وينجرح قلبك بسهم حبها حتى لا تعود تهوى مفارقتها بل لا تعود تقوى على ذلك فالويل لك ان أقمت معها على هذه الحال فلا تستبعد هلاكك. ان رصدت المرأة يا ايها الواعظ تجد خبثها

ثالثاً اهرب يا ايها الواعظ من خبث المرأة واحترس منها
ولو رأيتها مقيمة في صلاتها لثلا تقوم من الصلاة وتعرقلك قال
الحكيم كل خبث ولا خبث المرأة (ابن سيراخ ١٩: ٢٥) يعني
ان كل خبث يسهل دواؤه والتخلص منه وأما خبث المرأة فانه
من الامراض المعضلة ولكن مجرد خبثها معك يا ايها الواعظ
وخداعها لك هو بما تتظاهر به امامك من الصلاح والتقوى لأن
هذا فنك وهي لا تجي الى الشيء الا من بابه. وهذا هو حقيقة
الخبث وبما أنك واعظ تطلب منك مداواتها فابعد عنها ولا
تصدّقها اذا رأيتها رقيقة القلب في العبادة وتسكب الدموع
تأسفاً وتندماً لان النساء في فطرتهن سرعة الدموع والميل الى
العبادة والى كثرة الاعترافات خاصة وعامة والى استعمال
علامات العبادة فلا نصدّقهن فان ميلهن الى الخير ليس هو
عن عقل ولا عن حس قلب ولا عن ذوق روحي بل هو إما
من ميلهن اليك الطبيعي كما تقدّمنا فقلنا وإما من غيرة
إحداهن من الأخرى لكون الغيرة غريزية في طبيعتهم حتي
يتجاوزن بسببها الحدود والعوائد الجارية ولا يستحيين من ذلك وشر
من هذا انهن يسودن عرض بعضهن بعضاً بغير خوف ولا

خفيفة الحركات رخيصة المنطق حلوة الحديث فهذه
 كيف يمكنك التخلص منها وانت معها مقيم . فلا جرم انك
 تشغف بها وتقودك الشهوة اليها رغماً لان عبد الشهوة أذل من
 عبد الرق كما قيل حقاً . ان هذه الاسباب كافية لأن تمتلك قلبك
 ولُبَّك . وعقلك مع هذا كله يقنعك بان تستمر معها لوعظها وتعليمها
 وقد كان يكفيك ان تنبته لغلطك مما تصوره لك مخيلتك عند
 انفصالك عنها من حركاتها والفاظها وهيئة صورتها وانت متمتع
 منها بالوهم كما انك متمتع منها بالحقيقة ويبين لك حبها النغل
 من انها ترضى بل تفرح جداً بتوبيخك وشتمك لها وتلتذُّ هي
 بذلك وتُسَرُّ بالقوانين التي تضعها عليها بكل حرارة ورغبة . ليس
 من اجل الفائدة بل من اجل شغفها بحبك واما انت فمتى لدغ
 حبها قلبك فتعود تلتذُّ بما عمله معك من الالهانة والحقارة وهذه
 هي علامة خطر هلاكك معها . ويُظلم عقلك من جرى ذلك
 حتى تظن بأنك ساعٍ في كمالها وتقديسها والامر على خلاف ما
 تظن حقاً انها لك شخص (اي صنارة) الموت والهلاك الابدي .
 كما قال الحكميم من المرأة ابتدأت الخطية وبسببها نموت نحن

ديراً فيه صبيّ وقال مالي وقتال الأبطال . فكيف تقوى وانت
ضعيف على ان تجالس امرأة وهيئات ان تنجو منها سليماً وقد
طرحت كثيرين جرحى وصرعت كل قويّ (امثال ٢٦: ٧)
فاذا كنت لا تنتبه لهذا فيصيبك ما أصاب داود وابنه

ثانياً اهرب يا ايها الواعظ من محبة المرأة لان النساء الى
محبة الرجال أميل منهم الى محبتهم طبعاً وذلك لنقص عقل المرأة
لان العقل لجام قد يهدى شبق الشهوة او يتأتى منه الثاني في اتيان
المنكرات فالمرأة لما لم يكن لها هذا اللجام كانت تكلف بالرجل
كلفاً شديداً وتشف به اكثر مما يشغف هو بها وذلك لنقص
عقلها. ولهذا كانت توبة الزانية اصعب من توبة الزاني ومن هنا
يقول الحكميم وجدت رجلاً واحداً بين ألف وامرأة واحدة بين
أولئك كلهن لم أجد (جامعة ٢٩: ٧) اي انه وجد في الرجال
تائباً واما في النساء فلم يجد ولهذا ألجم الله النساء بالحياء . قال
القديس يوحنا السلمي ان ربنا الصالح قد جعل اهتمامه بنا في
هذا الوجه فألجم بالاستحياء الانثى والنخل للانثى بمنزلة اللجام
للفرس لان الانثى لو كانت تحاضر الى الذكر لما كان ينجو جسمه
والبلية العظمى فيما اذا كانت المرأة لعوباً ضحوكاً كثيرة التودد

وعاشروا النساء بهذا العزم وهذه النية وكانوا في معاشرتهن لا
يشعرون بحركة لذة لا عن فضيلة بل عن عدم حس كالجرح الذي
لا تحس بألمه وهو حار. واعتقدوا ان طريق العفة معهن مستو
لكن آخر الأمر قهرهم جسد الموت الذي انقادوا اليه أولاً اختياراً
وآخرًا اضطراراً فرجعوا بصفقة خاسرة. افتتحوا أمرهم بالروح
ثم ختموه بالجسد (غلاطية ٣: ٣) فان قلت وكيف كان ذلك
أحببتك ان ابتداء المعاشرة كان من جهة تخليص النفس الموكل
فيه الواعظ من جهة وظيفته. وهذا ابتداء حسن لكنه لما فقد
الاحتراس والفتنة دخلت لذة المعاشرة ثم المحبة المنكرة ثم التعليم
والتوبيخ على غير نظام الاعتدال ثم الكلام الباطل ثم الضحك
ثم الدالة ثم الهدايا والمراسلات والضيافات واللياليات. فكان
أول المعاشرة شيئاً روحياً وهو تخليص النفس فانتهى الى ان صار
ختامه جسدياً كما قال الرسول. فاهرب اذاً من معاشرة المرأة
ولا تُقنع ذاتك بأنك تحترس معها من الاسباب. فالنار ان لم
تُحرق تسود المكان بدخانها فحسبك منها لذة المعاشرة والحواس
وتدنيس القلب والفكر واصمت عما يلو ذلك وانت خبير به.
اهرب متذكراً ذلك القديس العظيم الذي لم يرد ان يدخل

مراد الطبيعة النظر والشهوة كما قال ربنا من نظر الى امرأة واشتهاها
فقد زنى بها في قلبه فتكون في مقارنة الفكر تبصر شر الشهوة
ولا تريدها وانت تفعلها بسبب النظر المسبب من المعاشرة وتبصر
خير العفة وانت تريدها ولا تفعلها بسبب المانع المسبب من
المعاشرة. هكذا يقول الرسول لأن ما أريده من الخير لا اعمله
بل ما اكرهه من الشرايا اعمل (رومية ٧: ١٥) وعلة ذلك ميل
الطبيعة نحو عنصرها والذي قواها فيه سبب المعاشرة. فبعد أن
فهمت هذا يا ايها الواعظ فلم يبق لك من حجة تقنعك في
معاشرة النساء ان هناك خيراً اثمره وعظك فان الطبيعة اكثر
تأثيراً في النفس من وعظك لانصباها الى غرضها فهي تجذبك
نحوه وانت لا تدري وتواري عنك سم الشهوة بعسل التعليم
فتظن أن هناك خيراً مع أنك عارف أن لا خير هناك. وانما
الطبيعة تقتاد عمالك الى الحفرة التي احتفرتها انت بيد اختيارك
انظر الى الاطفال والى حركات اعضائهم وهم لا يدرون ماذا
يعملون. لعلك توخى بذلك وقاحتك التي تقنعك أن هناك خيراً
رب طريق يستقيم في عيني الانسان وأواخره طرق الى الموت
(امثال ١٦: ٢٥) كثيرون مثلك ظنوا هذا الخير الذي تظنه

فمعاشرتكم النساء تهدم وعظكم وعرضكم وقيمتكم ولهذا يقول
الحكيم لا تُسأَمِ نفسك الى المرأة لثلاث تسلط على قُدرتك (ابن
سيراخ ٢: ٩) اي اذا تترّلت الى المرأة بالمعاشرة تقوى على قوة
وعظكم اي انها تشين وعظكم وتعيبه بين الناس فتعود مُخزى
بينهم عند وعظكم حتى يؤول بك الامر الى ان تتجنب التعليم في
العفة واسباب الزنا خوفاً من ظنون الناس فيك لثلاث يقولوا لك
لا تنه عن خلق وتأني مثله. اي لا تمنع الناس عن شر أنت فاعله
وواقع فيه. ان في هذا لعاراً عظيماً فاهرب اذاً يا ايها الواعظ من
النساء واحترس منهن ولو كنَّ تقيّاتٍ لاسباب

اولاً اقول اهرب يا ايها الواعظ من المرأة خوفاً من
معاشرتها لأن معاشرة المرأة اتلاف لدرّة العفة اقله في الحواس
ظاهراً وباطناً لميل الطبيعة التي احد جزئي تركيبها الشهوة فهي
لا تزال مائلة نحو عنصرها طبعاً. فكما ان الثقل لا يزال يطلب
الهبوط لانه مركزه هكذا الرجل فانه لا يزال يطلب المرأة
والمرأة الرجل طبعاً ومتى وجدوا وكان هناك عدم احتراس طلبت
الطبيعة ما لها من غريزتها وهي الشهوة فيحتاج ح الى صيانتها
بعصمة الهية ولا أدري هل تُعطاها ام لا. والا فانه يكفي في اتمام

تلك المخالطة وحافظ على قيمتك وشانك . وبخ الاغنياء
والاقوياء والمساكين والفقراء معاً غير متعيب كبيراً ولا صغيراً
وكن كإيليا الذي لم يهب احاب ملك اسرائيل بل كان يوبخه
علانية (٣ ملوك ٢١ : ٢١) وكما ان احاب كان يهاب
إيليا النبي الواعظ . هكذا الاغنياء والاكابر يهابونك
ويجلونك اذا كنت بعيداً عنهم ان كان الكتاب
المقدس يبين لنا ظهور إيليا بغتة (٢ ملوك ١٧ : ١)
فليكن هكذا ظهورك بين الناس بغتة . فالاولى بك اذا يا أيها
الواعظ ان تكون مثل يسوع في معاشرتك المساكين لانهم اقرب
من الاغنياء الى ثمرة الخير والتقوى اذ يتهاون لك ان توبخهم وتبين
لهم كلما يلزمهم لصلاحهم وغير مناسب لك ان تكون مع الاغنياء
البعداء عن التوبة وانت عاجز من قبل ضعف غيرتك ان
توضح لهم الضروري لخلاصهم ويكون ضميرك من جهتهم مرتاباً
فكن مع لعازر المضروب بالقروح في حضن ابراهيم ولا تكن مع
الغني اللابس الأرجوان في النيران الابدية (لوقا ١٦ : ٢٤)
ثالثاً لتلايكون الشك اعظم اذا رأوك تعاشر النساء أجاارك
الله من اشراكهن فان كانت معاشرتك الاغنياء تهدم وعظك

هكذا يلزمك يا ايها الواعظ ان تكون مع الجميع لانك
ان لم تحفظ نفسك في معاشرتهم كما تقدم لنا ذكره فلا يمكنك
ان تصون ذاتك مما سذكرك وهو ان معاشرتك الاغنياء
والاكابر تلزمك بمداراتهم بالمرآة وأن تسكت عن توبيخهم احتشاماً
وتهيباً وحياءً منهم . وربما استشهدوك في أمر منكر تشهد به
لرضاهم وتلتزم أن تشاركهم في مذمة الغير وتمدح ما كان
مذموماً فيهم او في الاقل ان تسكت عن تنبيههم وهيبات ان
تفائقهم في امور روحية وتتضع امامهم بكل ما يرضيهم ويلزمونك
ان تتكلم بما لا يلزم ذمتك لتكون لهم آلة في تنفيذ أغراضهم
فتخرج من بينهم وذمتك منزل خرب مملوء حيات وعقارب
تسهر الليالي منقلباً متموجاً في بحر من الحزن واليأس ويغفر النفس
فلقد صدق الحكيم القائل لا تُقارن من هو أقوى وأغنى منك
(ابن سيراخ ٢٠: ١٣) فان فعلت تحمل أثلاً واي أثقال اعظم
من هذه . قال الأنبا توما الكميسي ناصحاً لك لا تدار الاغنياء
ولا تحب مخالطة الاكابر والعظماء خوفاً عليك ان تبطل في مثل
هذه الرزايا المقدم ذكرها . هذا غير انحطاط قدرك ومنزلك في
الوعظ عند الناس من جرى هذه المعاشرة فاجتنب اذا اقتحام

ذاتك من تلافي خواطر من تُحبهم كلاً . فهذا أمر يعزّ
 عليك وعلى امثالك . فان كان الله يقول لاحد القديسين اني لم
 أجد اعمالك تامة (رؤيا ٣ : ٢) فكيف تكون اعمالك انت تامة
 وقد ظهرت ناقصاً في ميلك مع طبيعتك الناقصة نحو الحب
 الخصوصي . فاحفظ اذاً ذاتك في الميل الخصوصي واحب
 الكل معاً . ولا تختص بعشرتك منهم احداً لئلا تلتزم ان تكون
 سالكاً على رضاهم اذ هم سالكون على رضاك . قال
 الانبا توما الكميسي المحبة لجميع الناس واجبة لكن
 معاشرتهم غير لائقة . ثانياً لئلا يكون الشك اعظم اذا رأوك
 تُعاشر الاغنياء والاقوياء فان الناس من هذا يشكون بل
 يعتقدون ان معاشرتك لمثل هؤلاء ليست الا لغرض دنيوي
 اي لتستمدّ منهم مالا او جاهاً او حماية تضادّ القريب او وظيفة
 او لمحبة البطن وما شاكل ذلك وهذه كلها تنافي ثمة الوعظ
 من حيث تضعف اطمئنان الناس اليك لكونهم يقولون انه يداري
 الاغنياء ويهمل الفقراء مع ان الرسول يقول ان جميعكم ابناء الله
 بالايمان ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حرّ ليس ذكر
 ولا أنثى لأنكم جميعكم واحد في يسوع المسيح (غلاطية ٣ : ٢٦)

في تجنب الواعظة كثرة التقرب الى الناس ٤١

السماء ولا تدفن الوزنة وترث جهنم واقطع المتاجرة لثلاث تلتزم
بالخاصة لانه لا يحل لعبد الرب أن يخاصم (٢ تيموتاوس
٢: ٢٤)

الثاني ان الواعظ يلزمه ان يتجنب الصحبة الخصوصية فراراً
من الشك وذلك اولاً لان الناس اذا رأوك تعاشر بعضاً بمحبة
خصوصية ينسبونك الى الغرض ويستتجون من ذلك انك تبغض
بعضاً . وهذا عين فساد ثمره الواعظ الذي يلزمه ان يكون مثل
صاري المركب مستقيماً في ذاته ويقوم السفينة معه فان مال
مالت السفينة معه وغرقت هكذا يقول بعض العلماء زلة العالم
كانكسار السفينة تغرق وتغرق . هكذا انت فان ملت بالمحبة
الخصوصية نحو احد مالت الرعية معك وغرقت في بحر الشك
والظنون الرديّة وقد قال الرسول احذروا ان تجعلوا لحدٍ عثرة
(٢ كورنثس ٦: ٣) فان وبخت في وعظك يقولون هذا فلان لانه
يبغضه . وان عدت عن التوبخ على بعض اشياء يقولون هذا من
اجل فلان لانه يحبّه . واي فساد اعظم من هذا الفساد في ثمره
الوعظ التي هي تخلص النفوس فتكون عندهم على هذه
الصيغة بمنزلة الواعظ المرائي . وانا اسألك هل في يدك أن تبرئ

مغالطات دفاتر الحساب قال الحكيم قلما يتخلص التاجر من الالتم
والحمأر لا يتركى من الخطيئة (ابن سيراخ ٢٦: ٢٨) وما اشنع
الوعظ الذي تراه اليوم يخاصم من أجل الدرهم والدينار وغداً
يقف في منبر الوعظ قائلاً ارفض المباحثات السخيفة الحالية
من الأدب اذ تعلم انها تولد المشاجرات (٢ تيموتاوس ٢: ٢٣)
ترى اذا قلت هذا من يصدقك وانت اول من يكذب هذا
الكلام الالهي بمنازعتك الباطلة المسببة عن التجارة فمثلك هنا
مثل زهرة الاكليل تنفتح ليلاً وتذبل نهاراً فلا فائدة
للناظرين اليها. هكذا أنت فانك تنفتح في ليل المتاجرة
بالحكمة الباطلة وتذبل في نهار التعليم بمثلك الردي فلا يستفيد
السامعون منك الا المذمة والدينونة. فاين وظيفة الوعظ التي
انتخبك الله لها من اجل تخليص النفوس فكيف تؤمل أنك
ترضي الله بها وقد صرت سبباً لهلاكها فهل هذا الا من
تعلقك بأمور العالم. لقد صدق الرسول القائل ليس احد يتجند
فيرتبك بامور الحياة ليرضي الذي جئده (٢ تيموتاوس ٢: ٤)
فانت عبد الله بل جندي الله بل وكيل الله في وظيفته وقد
اعطاك وزنته. فتاجر بوزنتك لا بفضتك وادفن الفضة فترث

فاقطع المتاجرة متمسكاً بوظيفتك ولا ترفس الأواني المقدسة وقل
 مع الحكمة الالهية قد نرعت قميصي فكيف ألبسه قد غسلت
 رجلي فكيف أوسخنها (نشيد ٥: ٣) ثانياً لأن المتاجرة الواعظ
 تغريه بحب الفضة فيعتاقه بذلك عن اتمام وظيفته كما عاقت قبله
 ذلك الغني عن الالتحاق بيسوع للبشارة (لوقا ١٨: ٢٣) يكفي
 لصيد الطائر أن يعلق راس جناحه بالدبق فكيف ينجو اذا علق كله
 وقد تقرر عندك سابقاً أن محبة الفضة مجموع كل الشرور. قال
 السيد ان شككتك عينك فاقطعها او يدك او رجلك فاقطعها
 (متى ٥: ٢٩ و ٣٠) ومن المعلوم ان المتاجرة في وظيفة الوعظ سبب
 عظيم يعوقنا عن القيام بواجبات التلميم في تخليص النفس لانها تلزمننا
 ان نلتفت الى الورا. ان طائر النعام يداوم النظر في بيضته
 حتى تنفلق عن الفرخ فان اعرض عنها دقيقة واحدة فسدت
 البيضة ومذرت. فهذا النظر نفسه يلزمك يا ايها الواعظ ان
 تواظب عليه نحو وظيفتك لأنك اذا أعرضت عنها ملتفتاً الى
 المعاملة الدنيوية فسدت ثمرة وعظك. فاقطع اذا المتاجرة متمسكاً
 بوظيفتك وقل مع الرسول أعدّها (الاشياء) كلها اقذاراً لأربح
 المسيح (فيلبي ٣: ٨) ثالثاً لأن المتاجرة قد تجرّ الى المخاصمة من قبل

الاول ان الواعظ يلزمه ان يتجنب المعاملة والمتاجرة مطلقا اولاً
لأنها تعوقه عن القيام بواجبات وظيفته التي لاجلها لم يترك
السيد ذاك الشاب يدفن اباه (لوقا ٩: ٦٠) مع أنه لا أضر من
دفن الموتي ولا سيما الاب . لكن البشارة والوعظ الزم واضر لان
فيهما تخلص النفس الفضلى فأين المتاجرات منها . ان الوزير الذي
يهمل تدبير المملكة المؤتمن عليها من الملك ربها ليدبر احوالها
يرذل ويُعزل . وانت يا ايها الواعظ وزير الله قد اقامك لتدبر شعبه
بالوعظ فلا جرم انه يرذل اذا لم تقم بواجبات وظيفتك
لاشتغالك بالمتاجرات . قال الرسول وان كان احد لا يعتني
بذويه ولا سيما اهل بيته فقد انكر الايمان وهو شر من كافر
(١ تيموتاوس ٥: ٨) أرايت نتيجة تهاونك باعتنائك في تعليم
اصحابك واهل بيتك الذين هم رعية المسيح الذي ائتمنك على
تعليمهم الى اي كفر بلغت بك . وسببه المعاملة والمتاجرة التي
تعوقك ولاجلها خنت الله في وظيفتك فصرت كأنك كافر به
مع انك قد قلت سابقاً مع بطرس الرسول هوذا نحن قد تركنا
كل شيء وتبعناك (متى ١٩: ٢٧) والآن تكذب على الله
حيث انك لم تترك له شيئاً ما اصلاً والشاهد عليك المتاجرة .

(٨: ١٠) فلا تظنَّ أنك تكمل واجبات وظيفتك وانت مُستعبدٌ
 للفضة . هكذا قال ربّ المجد لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال
 (متى ٦: ٢٤) فالله وهبك وظيفة لكي تُتاجر نفوساً للخلاص فلا
 تظنَّ بعدها أن مواهب الله تُقتنى بالفضة والّا فتسمع اخيراً
 لتذهب فضتك معك الى الهلاك (اعمال ٨: ٢٠) فلا يكون لك
 حصة ولا قرعة مع الواعظين المحققين . فيكفيك اذاً ان تطلب من
 الله ما طلبه يعقوب أبو الآباء وهو القوت الضروري والكسوة
 (تكوين ٢٨: ٢٠) وهكذا قال الرسول فاذا كان لنا القوت
 والكسوة فأنّا نفتنع بهما (١ تيموتاوس ٦: ٨) فاحترس اذاً
 من محبة الفضة ومن محبة البطن فالأولى رذلت يوحنا والثانية
 رذلت عيسو فما انت اطهر من ذاك ولا اشجع من هذا . وقم
 بواجبات وظيفتك واجتهد لنفسك وتعليمك واهتم به فانك
 ان فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك

الفصل الثالث

في تجنب الواعظ كثرة التقرب الى الناس

للتجنب الواعظ هنا ثلاثة اشياء الاول المعاملة الدنيوية

الثاني الصحبة الخصوصية . الثالث التظاهر بين الناس

ا يقول
 ظيفته
 عنده
 ع وهو
 يهوذا
 فعبد
 يعظ
 ن ذلك
 كما قال
 وظيفة
 البشر
 ا كان
 تلزمك
 ليمك
 تعيب
 معون
 (متى

والاضطرابات والحقْد وموانع التَّحْنِ وجرائم الحسد. ولهذا يقول بعضهم حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ فالواعظ من شَأْنِ وَظِيفَتِهِ ان يَمْنَعَ هَذِهِ الشُّرُورَ كُلَّهَا. فكيف يسوغ له ان يُبْقِيَ أَصْلَهَا عِنْدَهُ فَمَا اسْمَحِ الْوَاعِظُ الَّذِي يَعِظُ النَّاسَ لِيَرْتَدُّوا عَنِ الْقُرُوعِ وَهُوَ مُتَشَبِّثٌ بِالْأُصُولِ. وفي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ ان أَمَصِيَا مَلِكُ يَهُوذَا حَارَبَ بَنِي سَعِيرٍ مِنَ الْأَدُومِيِّينَ فَكَسَرَهُمْ وَأَخَذَ صَنَمَهُمْ فَعَبَدَهُ (٢ اِيَام ٢٥: ١٤) هَذِهِ حَالُ الْوَاعِظِ مُحِبِّ الْقَضَةِ فَإِنَّهُ يَعِظُ النَّاسَ لِيَرْذُلُوا مَحَبَّةَ الْقَضَةِ فَإِذَا انْتَصَرَ عَلَيْهِمْ وَرَدَّاهُمْ عَنْ ذَلِكَ يَأْخُذُ صَنَمَهُمْ فَيَعْبُدُهُ لِأَنَّ مَحَبَّةَ الْقَضَةِ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ (أَفْسَس ٥: ٥) فَإِنْ كُنْتَ يَا أَيُّهَا الْوَاعِظُ قَائِمًا فِي وَظِيفَةِ يَسُوعَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ يَسُوعَ الْقَائِلِ أَمَّا ابْنُ الْبَشَرِ فَلَيْسَ لَهُ مَكَانٌ يُسْنَدُ إِلَيْهِ رَأْسُهُ (لُوقَا ٩: ٥٨) وَبِهَذَا كَانَ مُعْتَقًا مِنَ الْعَالَمِ وَمِنْ مَلَافَةِ أَهْلِ الْعَالَمِ لِأَنَّ مَحَبَّةَ الْقَضَةِ تُلْزِمُكَ يَا أَيُّهَا الْوَاعِظُ أَنْ تَدَارِيَ الْأَغْنِيَاءَ وَتَرَاثِيَهُمْ فِي سُلُوكِكَ وَتُعَلِّمَهُمْ وَتَرْتَكِبَ رَذِيلَةَ الطَّمَعِ حَتَّى تَصِيرَ تَوْمَلٌ مِنَ النَّاسِ أَمْوَالَهَا وَتَعِيبَ وَعِظَكَ بِالسِّيمُونِيَّةِ فَتَكُونَ تَاجِرًا لَا وَاعِظًا فَيَنْفَرِحُ مِنْكَ السَّامِعُونَ خَوْفًا عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَإِنَّ قَوْلَ السَّيِّدِ مُجَانًا أَخَذْتُمْ فَمُجَانًا أَعْطَوْا (مَتَّى

كان إثم سدوم اختك ان الاستكبار والشبع من الخبز وطمانينة
الفراغ كانت فيها (حزقيال ١٦: ٤٩) فأصغر اذا يا ايها الواعظ الى
ما يقوله سيّدك وربّ وظيفتك فاحترسوا لا تفسّم ان تثقل
قلوبكم في الخلاعة والسكر (لوقا ٢١: ٣٤) لأن الشراهة تُظلم
العقل من كثافة الأبخرة وتعميه عن معرفة واجبات الوصايا
الالهية التي تنبّه الناس في وعظك على حفظها

قال القديس اسحق السرياني ان أفعت جوفك فلا
تجتري على شيء من تفسير كلام الله لكون كلام الله يلزمه عقل
ملاكي وانت قد صرت بشراحتك بهيمة . وبقلة أدبك وحشاً
ساجداً لصنم بطنك . لأننا لم نر احداً لم يسجد لصنم يختصر الا
اولئك القتيّة القنماء بالامساك الذين لم يسجدوا لصنم جوفهم . فان
كنت خادم الله فلا تخدم بطنك وتمسك بما قاله الرسل انه لا
يحسن ان نترك كلمة الله ونخدم الموائد (اعمال الرسل ٦: ٢)
الخامس انه يلزم الواعظ ان لا يكون مغرماً بحبة الفضة اصل
كل الشرور (١ تيموتاوس ٦: ١٠) قال القديس يوحنا السامي
في تفسير هذه الآية ان محبة الفضة ابدعت البغض
والسرقات وصنوف القتل وفواجي الفرقة والمداوات

واخصها الزنا. وقد قال بعض الحكماء رأس المعايب الشراة فعظ
نفسك أولاً ودع الحنجرة تخضع للعقل وكل طعام العقلاء ولا
تخضع العقل للحنجرة وتأكل طعام الجهلاء. قال القديس اسحق
السيراني ان جرت الحواس على تدبير العقل اكلت معه طعام
الملائكة. وان جرى العقل على تدبير الحواس اكل معها طعام
البهائم. فان كنت شرهاً كنت جارياً على تدبير حواسك لا على
تدبير عقلك فانك اذا بهيمة لا انسان ناطق. فلهذا لا تثبت ارض
نفسك الا شوك الخطايا وقرطب الرذائل وقد طالما وعظت
الشعب وقصصت عليهم ما كان من امساك يسوع وقناعته
وذكرتهم بذلك الخلل والمر الذين شربهما فوق عود الصليب
فكيف لا تستحي الان منهم عند ما يرونك وانت واعظهم مكباً
على الموائد المتلونة تختار منها الذهابا الشراة وقلة الادب وتحشو
جوفك بلا تمييز كأنك من جملة البهائم المعدة للذبح وترادف اقداح
الخمر والمسكر بلا عدد حتى يضطرب عقلك وترتخي عضلات
لسانك عن استقامة النطق وتتشوه مخنتك حتى تعود بغيضاً
الى الله ومكرهاً في عيون الادباء والعقلاء وضحكة امام
السفهاء والجهلاء ويستحي عنك اكبر محبيك وأصدقائك. هذا

فاحفظ اذا ملابس وظيفتك * الرابع ان الواعظ يلزمه ان يكون
 مؤدباً بالقناعة اي لا يكون شراً محب بطنه . اني استحي من ان
 اتبه الواعظ على الاحتراس مما يختص بالبهائم وهو الشراهة اذ
 ان الواعظ ملاك ارضي وانسان سماوي بمنزلة يوحنا الصابغ الذي
 شبهه النبي بالملاك (ملاخي ٣: ١) والمسيح بايليا (متى ١١: ١٤)
 والله أعطاه وظيفته في تخلص الانفس . وتشرف بهذه الوظيفة
 شرفاً باذخاً حتى استحق ان يقال له في شخص الرسل . انتم الذين
 اتبعتموني في الجيل الجديد اذا جلس ابن الانسان على كرسي مجده
 تجلسون انتم ايضاً على اثني عشر كرسيّاً (متى ١٩: ٢٨) فقد
 ساواه الله في الجلسة لكونه ساواه في الوظيفة . وهي الوعظ
 لتخلص الانفس المثمثة بدم ابن الله . فان كان شرف
 وظيفتك يا ايها الواعظ هذا مقدار استحقاقها فكيف يسوغ
 لك ان تتشبه بالوحوش والبهائم في عكونك على الشراهة مثلهن
 وانت في وظيفتك من سكان السماء وترضى ان تكون اسير
 جوفك كالبهائم وانت حر من نسل احرار هم الرسل الواعظون
 فان كنت عاجزاً عن ان تغلب الحنجرة فكيف تقوى على ان
 تغلب بناتها . قال القديس توما اللاهوتي ان الشراهة علة الكبار

مُوجِبَ تلك الشروط الاربعة لانك بها يمكنك ان توتّج
 المنهمكين في زينة اثوابهم رجالاً ونساءً والأ فكيف يمكنك ان
 توتّج المرأة على انها كها بجليها وديباجها الملون المذهب
 وقميصك من كتان رفيع مخرم الاطراف. وكيف يمكنك ان
 تعزي الفقراء على خلقانهم وانت متوشح بالقرء والاثواب الرفيعة
 الثمينة. سل عن المسيح كيف كانت اثوابه والبس مثله لانك في
 وظيفته وتذكر ثوب العار الذي لبسه عند آلامه فلا تضر
 بملابسك الرفيعة اللينة شعب الله لئلا يضربك الله بعقابه يا ايها
 الحائط المبيض المصقول (اعمال ٢٣: ٣) ولهذا يقول الله على
 لسان نبيه ما بالكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين
 (اشعيا ٣: ١٥) فلهذا يزيل الرب في ذلك اليوم العصائب
 والثياب اللينة لانها هي سبب سحق الشعب وتزمر الفقراء يا ايها
 الواعظ ارايت كيف ترفهك بلين اثوابك الرفيعة أضرب بشعب الله
 واهان وجوه المساكين فكن اذا رسولا واعظا بشيابك اكثر
 من كلامك والا فانه يقال لك ما قيل لذلك النبي اذكر انك قد
 قبلت خيراتك في حياتك ولعازر في بلاياه والآن فهو يستريح
 وانت تتعذب. ان دود القز ثوبه من حرير لكنه فيه يختنق

وفي حفظ وصاياه لان هذه وظيفتك يا ايها الواعظ . قال
 القديس فرنسيس سالس كما ان النحلة لا تمتصُ بقمها الا العسل
 كذلك ليصر فمك عسلياً بذكر الله على الدوام كما قال المرنم فم
 الصديق يهذ بالحكمة ولسانه ينطق بالعدل (مزمو ٣٦ : ٣٠)
 الثالث انه يجب على الواعظ ان يكون مؤدباً بالشباب قال القديس
 لويس ملك فرنسا البس على حسب رتبتك لكيلا يستطيع احد من
 اهل الصلاح والحكمة ان يقول انك تلبس فوق ما يليق بك
 والحال ان رتبتك رتبة واعظ ومعلم للآخرين فيلزمك ان تلبس
 اثواب الواعظ الحقيقي وتعرف اثوابه اولاً بان تكون مظلمة
 اللون ثانياً بان تكون طويلة محتشمة ثالثاً بان تكون نظيفة رابعاً بان
 تكون متوسطة الحال بين النعومة والخشونة وكلما زادت
 خشونة زادت في عين الناظرين نفعا وحسناً . وقد أخبرنا الرسول
 عن اثواب اولياء الله الذين كانوا يعظون الناس بشياهم قائلاً
 ساحوا في جلود الغنم والمعز (عبرانيين ١١ : ٣٧) فانهم بهذه
 الثياب الدنية كانوا يجولون بين الناس ويعظونهم بشياهم حتى
 استحقوا ان يستشهد الرسول بوعظهم في وعظه . ونحن نريد
 منك يا ايها الواعظ ان تجول بين الناس واعظاً بشياهم على

زابل
 تعلم
 ٢ :
 مك
 عك
 قال
 هزاء
 شأن
 كمال
 تحت
 يفيد
 على
 ليفته
 جلب
 نفس
 يدور
 الله

الغير المؤدب بكلامه فانت هو يا ايها الواعظ تلك المرأة ايزابل
التي اخبر عنها صاحب الرويا التي كانت تقول اني نبيّة وتعلم
وتُضِلّ عباد الله حتى يزنوا ويأكلوا من ذبائح الاوثان (رويا ٢:
٢٠) انظر فان هذه ثمرة نبوة وعظك من فحش كلامك
فسوف يتهدّدك الله كما تهدّد تلك ويُليقك على سرير اوجاعك
انت وتلاميذك ويقتلكم بالموت الابدي ان لم تتوبوا. قال
القديس برزدوس ان الازدراء والمزاح من أفواه العوام استهزاء
واما من فم الكاهن والواعظ فهما تجديف. فاذا نقول اذا في شأن
بقية الالفاظ الرديئة اذا برزت من فم الواعظ الملتزم بالكمال
الذي يدلّنا عليه كلامه كما يقول المثل السائر. كما لك تحت
كلامك. وأما الكلام المفيد الذي أمرنا به الرسول فانه يُفيد
السامع تعزيز الايمان والفوز بالنعمة وهذا هو الذي يجب على
الواعظ ان يعلمهم اياه بأدب كلامه ويقتدي بيسوع إمام وظيفته
حيث قال الذي أخبرنا عنه النبيّ قائلاً لا يصيح ولا يُجلب
ولا يسمع صوته في الشوارع (اشعيا ٤٢: ٢) هذا هو نفس
ما يجب على الواعظ حتى لا يسمع صوته خارجاً عن حدود
الادب امام الناس بل فليكن كل كلامه أمام الناس في الله

الرسول قسم الكلام هنا الى قسمين قبيح ومفيد فالقبيح قسمان
 ما يخص العوام وما يخص الكليريكين فالذي يخص
 العوام هو الكلام السفيف والتجاديف والشتائم النجسة وهذه
 معدول عنها هنا لان كلامنا الآن ليس هو في العوام . والذي
 للاكليريكين فهو الشتام الحقيفة والمزاح والاخبار المضحكة
 والاستتراء والهزء ومدح الذات والغيبة واطهار نقائص القريب
 وانواع الدينونة وانواع الفتنة والكذب والوشاية والمرآة والظنون
 الرديئة وحدة المرأة والمخاصمة. فهذه كلها يلزم الواعظ ان يحترس
 منها ولينتبه الى ما قاله السيد المسيح من كلامك تتبرأ ومن
 كلامك يحكم عليك (متى ١٢: ٣٧) وقال المثل رب كلمة
 سابت نعمة وسببت نقمة . فان هذه كلها اذا سمعت من
 الواعظين هان ارتكابها على السامعين فيقولون لو كانت حراما
 لما تفوه بها واعظنا ولا ارتكبها . فاذا كان الواعظ على هذه الصفة
 كان كأنه يبني بيد ويهدم بأخرى . ان الطائر البيغاء يتعلم تلك
 الالفاظ التي يسمعها من صاحبه فيقلده فيها بالتمام هكذا يكون
 حال العوام مع الواعظ . فانهم يتعلمون تلك الالفاظ التي يسمعونها
 منه إن خيرا وان شرا ويقلدونه فيها * يا لعظم تعس الواعظ

يغمر بعينه ويتكلم برجليه ويُعلم بأصابعه (امثال ١٢: ٦ - ١٣)
 هذه كانت حركات يوليانوس العاصي في صباه وهو مسيحي
 كما شهد بذلك غريغوريوس اللاهوتي حيث قال فيه انه لم
 تكن فيه إشارة واحدة جيدة. فما أسمع الواعظ اذا كان
 متصرفاً بين الناس بحركات ذلك الانسان المارد الذي أخبر عنه
 الحكيم وقد رأينا بيانها في هذا العاصي الذي كان من شأنه
 اخيراً اضطهاد بيعة الله وسفك دم القديسين فاحترس يا ايها
 الواعظ ان تكون في حركاتك طائشاً مخلاً فانك تسبب لكنيسة
 الله من الحقارة والمذمة ما سببه ذلك العاصي من الاضطهاد
 فتجزى جزاءه. فانت ملتزم بالادب لتتطبع فيك سجايا الناظرين
 الى ادبك فاذا رأوك مخلاً بحركاتك يفوت الخير المأمول منك
 لانه لا شيء يعيب الواعظ ويؤذي به في عيون الناس مثل
 خفة رأسه وطيش حركاته. لان الماء اذا كان مضطرباً فلا تنطبع
 فيه اشباح الاشخاص * استحضر امامك يسوع فيصير الهدوء
 عظيماً. الثاني انه يلزم الواعظ ان يكون مؤدباً بالكلام قال
 الرسول لا تخرج من افواهكم كلمة فاسدة بل ما يصلح منها
 ويُفيد البنيان ليزيد السامعين نعمة (افسس ٤: ٢٩) لان

هكذا الواعظ فانه بأدبه يصون من فساد الاخلاق نفسه وقريبه
وثانياً بالنور فانه يكشف ذيل الظلام فيتضح الطريق المستقيم
هكذا الواعظ فانه بأدبه يهدي نفسه وقريبه وثالثاً بسراج على
منارة فانه يضيء لكل من في البيت. هكذا الواعظ فانه بأدبه
يضيء بيت الله اي بيعته بسيرته القاضلة . فاذا فسد الملح وطفئ
النور وانكسر السراج فلا تعود تفيد شيئاً بل تطرح خارجاً
وتُداس. هكذا الواعظ فانه اذا فقد الادب فلا يفيد شيئاً بل
يصير للناس سخرية * قال القديس اغوستينوس انا نجتهد
لنسلك في جميع اعمالنا وحركاتنا بنظام لا يغيظ احداً بل يعمر
الجميع لأن هذا هو اللائق بوظيفتنا نحن الواعظين. لكون الناس
تنظر الى الخارج لا الى الباطن فمن ثم كان الواعظ ملتزماً
بالآدب في كل من هذه الانواع الآتي ذكرها الاول الحركات
يلزم الواعظ ان يكون مؤدباً بها اي تكون حركات حواسه
واعضائه مرتبة منتظمة وبهذا الادب كان يسوع مؤدباً قال
النبي قصبة مرضوضة لا يكسر وكتاناً مدخناً لا يطفئ (اشعيا
٤٢: ٢) ان الواعظ ينبغي له مثل هذه الرصانة والرزانة والا فهو
كما قال الحكيم . ذو الاثم هو رجل بليعال فانه يسعى بخيانة النعم

كلها كما ينجر عنه البشير بقوله وكان يسوع يتقدم في الحكمة والسنّ والنعمة عند الله والناس (لوقا ٢: ٥٢) فقد كانت حياة يسوع في العالم مملوءة من حكمة الآداب والفطنة في وعظه وتعليمه العملي واللفظي ومن هنا يحثنا الرسول قائلاً ليظهر حلمكم لجميع الناس (فيلبي ٤: ٥) لان الآداب والاحتشام مثال صالح في بنيان القريب وهو واجب لكل مسيحي. قال ترتوليانوس انه في ابتداء الكنيسة كان يقول الوثني لرفيقه اذا رآه محتشماً هل رأيت مسيحياً. فان كان الآداب يلزم كل مسيحي فهو للواعظين ألزم لان الواعظ اذا كان مؤدّباً كان وعظه مضاعفاً فيكون واعظاً في البيعة بلفظه وواعظاً في الشوارع والمنازل بأدبه هناك تتعلم منه الناس فضيلة التوبة والايمان. وهنا يتعلمون منه فضيلة الآداب. هناك اذا سمعوه يعترفون بخطاياهم وهنا اذا رأوه يستحيون ويحتشمون. وهذا الآداب والاحتشام كان غاية وعظ القديس فرنسيس الكبير بل كل القديسين بل رب القديسين نفسه الذي قال لذلك المضاف اذا دُعيت الى عرس فلا تتكى في اول المتكآت (لوقا ١٤: ٨) وقد شبه السيد الواعظ أولاً بالملح (متى ٥: ١٣) لان الملح يصون من الفساد

منك ثمرًا لذيذًا. قال الفلاسفة كل شيء يلد شبهه فكن متواضعًا
فتزرع التواضع في غيرك. كن عفيفًا فتوجد العفة في آخرين
قال الحكميم اذا امتلأت السحب من المطر تصبهُ على الارض
(الجامعة ١١: ٣) انت السحابة فكن كاملاً لتغيث قلوب
الناس من امواه علمك ولتكن هذه نتيجة كلامنا وهي انك
تعظ اولاً بحسن سيرتك ومثلك الصالح ليثر تعليمك في
قلوب الناس ثمرًا طيباً لان تمام العلم بالعمل واعمل كما
عمل يسوع معلم وظيفتك فانه غسل اقدام تلاميذه اولاً ثم
امرنا قائلاً فيجب عليكم انتم ان يغسل بعضكم أرجل بعض
(يوحنا ١٣: ١٤)

الفصل الثاني

في أدب الواعظ

ان الادب يلزم الواعظ ضرورة لكون وظيفته تهذيب
الناس وتأديبهم فكما ان الواعظ العلمي لا بد له من مقدمة
واقسام هكذا الواعظ العملي فان له مقدمة واقساماً فمقدمته
الادب واقسامه يأتي بيانها وقد سار يسوع في هذا الادب حياته

مثلاً قال يسوع ولا تسمع ذلك المثل يا ايها الطبيب اشف
نفسك (لوقا ٤: ٢٣) قال القديس ديونيسيوس الا تني يلزم
الكهنة والواعظين ان يكونوا مقدسين ومقدسين وكاملين
ومكملين ومستتيرين ومنورين لأنك ان كنت يا ايها الواعظ
غير متق فكيف يمكنك ان تجعل غيرك متقياً. وان كنت
متعدي الناموس فكيف تلزم غيرك بحفظه . فاسمع الرسول
موبخاً لك انت الذي تعلم غيرك ألا تعلم نفسك الذي تنادي
قائلاً لا يسرق أتسرق الذي تكرز ان لا يُزني أترني الذي
تمت الاوثان أنتهك ما هو قدس (روميه ٢: ٢١-٢٢)
وقد عرفت شرف وظيفتك التي تشرفت بها وأنت تلميذ
ذاك المعلم الصالح الذي لم يصنع جوراً ولم يوجد في فمه مكر
(اشعيا ٥٣: ٩) فاحذر اذاً من ان تكون في وعظك وتعليمك
عديم الحس . قال القديس يوحنا السامي ان عديم الحس اعمى
ويعلم النظر . يصف الشفاء للجرح ولا يكف عن حكه فان
كانت هذه حالك فكيف تستطيع شفاء قوم آخرين من الداء
الذي هو فيك هل يجني من الشوك غب او من العوسج
تين . (متي ١٦: ٧) فان كنت شوكة وعوسجاً فمن يقدر ان يجني

يُتَحَفَّ
عَقْد
انفس
الا
يج
الا
ا

بالعمل الصالح الذي اكتسبوه من مثالك الصالح يا ايها الواعظ
الصالح حتى كأنك تقول بلسان سيرتك المقدسة للناظرين اليك
اقتدوا بي كما اقتديت انا بالمسيح (١ كورنثس ٤: ١٦) قال سينكا
الفيلسوف الطبيعي ان التعليم بالكلام سفر طويل واما المثل
الصالح فهو طريق قصير وهذا ظاهر لكون الناس يصدقون ما
يرونه بالعين اكثر مما يصدقون ما يسمعون بالاذن فانهم اذا
سمعوك تعظ على حفظ الغفة ورأوك سائر ايها صدقوا ما تقوله
وامكن لهم حفظها والا فهم يقولون حفظها غير ممكن ولو كان
ممكنا لكان يحفظها من يعظ بها وقس عليه * قال احد العلماء
لا توجد واسطة تحرك السامع مثل أن يكون القائل متحركاً مثلاً
كيف يمكنك ان تحرك غيرك الى اقتناء فضيلة ليست فيك
فكن اذا سيرة كاملة لتحرك غيرك الى الكمال او على الأقل
الى التوبة فاذا كانت سيرتك كاملة يا ايها الواعظ امام الناس
تقطع ألسنتهم عنك فلا يجدون فيك علة تستحق القذف بها .
لما اراد اليهود ان يرموا يسوع قال لهم اني اريكم اعمالاً
كثيرة حسنة من عند ابي فلاي عمل منها ترجوني (يوحنا
١٠: ٣٢) كن اذا كيسوع لتقول عند ما ترجم بالظنون

يا وقد

١١ :

جميع

بانوس

لكبير

مختصر

ردائل

يا في

واضع

الا في

يثبت

مكة

عليه

سطة

الله

جدوا

الله

ومكرّم عند الناس فمن هنا كان التواضع لازماً له ولا سيما وقد
 امرنا بقوله تعلّموا مني فاني وديع ومتواضع القلب (متى ١١ :
 ٢٩) ثانياً لان الواعظ اذا احكم التواضع احكم معه جميع
 الفضائل لان التواضع اساس كل الفضائل قال القديس قبريانوس
 ان الاتضاع إسّ القداسة. وقال القديس غريغوريوس الكبير
 ان الاتضاع معلم كل الفضائل ووالدها حقاً . ان الاتضاع مختصر
 الفضائل والكمال ومجموعها كما ان الكبرياء مختصر الرذائل
 ومجموعها ولهذا أتى يسوع بالتواضع متجسداً ولا سيما في
 تعليمه لنحوي معه جميع الكمالات . فمن هذه الجهة كان التواضع
 لازماً للواعظ جداً لكي يتقن معه جميع الفضائل فيكون كاملاً في
 سيرته حتى يستطيع ان يقول مع يسوع معلّمه من منكم يُثبت
 عليّ خطيئة (يوحنا ٨ : ٤٦) فاذا كان تاماً بسيرته الفاضلة امكّنه
 ح أن يعلم ويعظ بمثاله الصالح اكثر ممّا يفعل بتعليمه
 قال القديس اغناطيوس اليسوعي ان المثال الصالح واسطة
 مفيدة مؤثرة في تحصيل الثمار في القريب ولهذا يقول الله
 فليضي نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا
 اباكم الذي في السماوات (متى ٥ : ١٦) اي انهم يمجّدون الله

القسم الثالث

في شروط الواعظ وفيه عشرة فصول

الفصل الاول

في سيرة الواعظ

قال الله حسب التلميذ ان يكون مثل معلمه (متى ١٠: ٢٥)
انه لمن المعلوم ان الواعظ تلميذ السيد الذي اسس وظيفة
الوعظ ولما كان المسيح كاملاً في كل فضيلة لزم الواعظ الذي
هو تلميذه ان يكون كاملاً بسيرته في جميع الفضائل كما قال
الرسول وانت في كل شيء اجعل نفسك مثلاً للأعمال الصالحة
في التعليم (تيطس ٢: ٧) ولا سيما فضيلة التواضع التي جعلها يسوع
أساس سيرته. هذه الفضيلة نفسها يلزم الواعظ أن يعانقها حياته
كلها ويبنى عليها أولاً عمله ثانياً علمه مثل يسوع معلمه الذي
اخبرنا عنه الكتاب المقدس انه كان يعمل ويعلم (اعمال ١: ١)
ونرى فضيلة التواضع ضرورة للواعظ جداً أولاً لان الوعظ
من شأنه ان ينفخ الواعظ بالكبرياء لانه معلم في وظيفته